الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة
معهد الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع.....

دلالة التقديم والتأخير في سورة التكوير

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس، في اللغة والأدب العربي

تخصص: اللغة العربية

إعداد الطالبين:

- **إيمان جودي**
- **سميرة عميمور**

إشراف الأستاذ:

أ/ خديجة محفوظي

السنة الجامعية : 2014/2013

-* شـــكر وعرفـان *-

مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم:

"من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

أرفع أسمى آيات الشكر والإمتنان إلى أستاذي المشرف "الأستاد سليم مزهود" الذي بذل من الجهد الكثير رغم انشغالاته العلمية المختلفة إلا أن صدره كـان أرحب من كل هذا، وأسهم في توجيه مسيرة هذا البحث حتى استوفى على سوقه. كما أشكر جميع أساتذة معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي لميلة.

والفضل فوق كل هذا يعود لخالقي، فأسله أن يتقبله مني خالصا لوجهه الكريـــــم .

سميـرة ♥ إيمـــــان

إهـــداء

إلى أغلى ما أملك في هذا الوجود.

إلى من قال فيهما الكريم الودود وعلا شأنه وجلت فيهما قوله:

"وقضى ربك ألا تعبد إياه و بالوالدين إحسانا" .. إلى التي بين ضلوعها احتميت ومن عطائها ارتويت إلى رمز المحبة والعطاء.. إلى قمة التضحية والوفاء.. إلى سر وجودي في البقاء إليك يا أمـي الغالـــــية "شـريـــــفـــة ♥ "

إلى الذي رباني على الفضيلة وشملني بالعطف والحنان، كان لي درع الأمان.

إلى الذي بين يديه كبرت .. وفي دفئ قلبه احتميت .. إليك أبي الحبيب "جـمـال ♥ "

إليكما أهدي نجاحاتي كلها.. ومنكما أنهل رحيق قوتي وتفوقي ولكما أبارك ما جنيته طول حياتي .. فلكما الفضل بعد الله، إذ ارتقيت في المعالي حمدا لك يا ربي، وحفظكما الله وبلغكما سعادة الدارين..

إلى كل الإخوة والأخوات: "فـايز، سعـيدة، شهيرة، عبد الرحمان، رحية " وإلى أختي فـــــايزة وزوجها محمد، إلى زوج خالتي الأستاذ "د/مريزق عـز الديـن" بولاية جيجل.

وإلى أستاذي المشرف سليم مزهود الذي كان لنا سندا في هذا البحث.

إلى كل النفوس التي وقفت إلى جانبي طيلة مرحلة بحثي المتواضع ..إلى كل الأصدقاء والزملاء: إيمان، مريم، إيمان، نجوى، سهيلة، حيـاة، سامية، حيـاة، حنان، فاطيمة صباح، نرجس، كريمة، صابرة ... إلى كل الذين عرفتهم في مشواري الدراسي.. إلى كل من علمني حرفا أجهله .. إلى كل من وسعهم قلبي ولم تسعهم ورقتي ..

لكـــم من كل الحـــ♥ـــب والتقديـــــــر

سميرة ..

إهداء

الحمد لله خالق الحب والنوى المطلع على ناطق الضمير وما حوى، وخالق العبد وما نوى والصلاة والسلام على نبيّ الهدى محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه وسلم وعلى عباد الله ومن اتبع هداه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

أهدي هذا العمل ...

إلى من حركت المهد بيمينها والعالم بشمالها.. إلى من كان بطنها لي وعاء وصدرها لي شفاء، وحجرها لي وقاء.. إلى أغلى اسم نطقه لساني.. إلى هدية الرحمان ستّ الحبايب أمي الغالية **""نعيمة""**

إلى الذي أنار دربي وأحسن تربيتي وعلمني أن الحياة كفاح، المنتصر فيها من كان سلاحه العلم.. إلى الذي تحمل مشاق الحياة والغربة في البلدان وكان بمثابة الشمعة التي تحترق لينير طريقي .. إليك أبي العزيز الغالي **""علي""**

إلى منبع ورمز افتخاري.. إلى من وجدت فيه الأخ والصديق والحبيب.. إلى زوجي الغالي **""خالد""**

إلى أزهار البيت ""سعاد .. حنان .. أمال .. سلمى"

إلى من علمني قيادة سفينة العلم بين الأمواج العاتية...إلى من علمني حب العمل وأشعل في داخلي نورا فسرت نحو النجاح...إلى من صدره رحب يسع الكون بأسره أستاذي الغالي على قلبي **""سليم مزهود""**

إلى صديقاتي الغاليات ""سميرة، إيمان، مريم، حكيمة، حنان، هدى، نصيرة، فاطيمة سامية، سهيلة، حياة..."

إلى كل عائلة جودي ومشحالك .. وكل من ساندني في إنجاز هذا البحث.

إيـمـان

مقدمة

مقدمة:

تعد مسألة التقديم والتأخير من الأساليب المهمة في اللغة العربية والقرآن الكريم لاتصاله بالمعنى، ومن المعلوم أن الجملة العربية تشتمل على مسند ومسند إليه، وهما ركنان رئيسان في الكلام، حيث إنه إذا جئنا بهذا الأخير على الأصل لم يكن هذا من باب التقديم والتأخير، وإن وضعت الكلمة في غير موضعها دخلت في باب التقديم والتأخير وهو أسلوب اهتم به النحويون والبلاغيون لما يتميز به أسلوبه من خصائص وسمات فريدة، ويعتبر مجالا واسعا للبحوث كلها.

ولهذا كان هذا موضوع بحثي الموسوم: "التقديم والتأخير في سورة التكوير"

والإشكال المطروح هنا: ما المقصود بالدلالة؟ وما المقصود بالتقديم والتأخير؟ وما هي أنواعه؟ وما هي الأسباب والأغراض التي تدفعنا للتقديم والتأخير في الكلام؟ وأين تكمن أهميته؟

لقد كانت لنا أسباب جعلتنا نخطو خطوتنا هذه إلى دراسة هذا الموضوع بالرغم من الدراسات السابقة، وأهم هذه الأسباب رغبتنا في الاطلاع والتعمق أكثر في فهمها، وكذا حبنا للبحث والاستكشاف.

وقد اتبعنا في هذا البحث خطة تحتوي على مقدمة وفصلين وخاتمة.

وقد تطرقنا في المقدمة على لمحة وجيزة عن التقديم و التأخير، أما الفصل الأول فيحتوي على أربعة مباحث، تناولنا في المبحث الأول التعريف بالدلالة والتقديم والتأخير لغة واصطلاحا، أما في المبحث الثاني فقد تطرقنا إلى بيان أنواع التقديم والتأخير، والمبحث الثالث تناولنا فيه أسباب وأغراض التقديم والتأخير، وتناولنا في المبحث الرابع أهمية التقديم والتأخير.

وأما الفصل الثاني فقد تناولنا فيه الجانب التطبيقي ففي البداية تطرقنا إلى سبب اختيار القرآن الكريم باعتباره أنموذجا للتطبيق عليه، ثم قمنا بالتطبيق على سورة التكوير كما

سبق بيانه في الفصل الأول وفي الأخير ختمنا بحثنا بخاتمة رصدنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال البحث.

وقد اتبعنا في بحثنا هذا المنهج الوصفي الذي نراه مناسبا لمثل هذه الدراسة، ومن الصعوبات التي واجهناها في إنجازنا لهذا البحث نذكر منها:

- صعوبة التعامل مع بعض المصادر والمراجع.
- تشعبات الموضوع وتفرعاته إذ نرى أن لكل فرع منه درساً مستقلا.
- صعوبة ترتيب المادة التي جمعناها خاصة أنه أول بحث بالنسبة إلينا، قد توسعنا فيه.
- اعتمدنا فيه على بعض المصادر والمراجع أهمها:
  - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز "ظاهرة التقديم والتأخير في النحو العربي"
  - صالح الشاعر "المطالع السعيدة في شرح الفريدة"
  - "في النحو والصرف والخط" لجلال الدين السيوطي.

وختاما لا يفوتنا أن نشكر الله عز وجل شكرا جزيلا على توفيقه لنا في إتمام هذا البحث كما لا ننسى أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذنا المشرف الذي ساعدنا وساندنا من أجل إنجاز هذا البحث وكذلك معهد الآداب واللغات.

الفصل الأول؛
التقديم والتأخير في النظم القرآني الكريم

التقديم والتأخير في النظم القرآني الكريم:

التقديم والتأخير من أهم مباحث علم المعاني، الذي يبحث في بناء الجمل وصياغة العبارات، ويتأمل التراكيب لكي يبرز ما يمكن وراءها من أسرار ومزايا بلاغية، ومن المسلم بيه أن معنى الجملة ليس هو مجموع معاني المفردات التي تتألف منها، بل هو حصيلة تركيب هذه المفردات في نمط معين حسب قواعد لغوية محددة، كما أن الساعة مثلا، ليست مجموع القطع المعدنية التي تتألف منها، وإنما هي آلة تتكون من هذه القطع حسب قواعد معينة لتؤدي وظيفة لا تؤديها أي من القطع وحدها، ولا تؤديها القطع كلها مجتمعة، إلا إذا ركبت بطريقة محددة، فنسق الجملة وكيفية ترتيب الأجزاء فيها ينبغي أن تؤخذ بنظر الاعتبار، ذلك أن المعنى يتولد فقط من ترتيب الألفاظ والعبارات، ومعنى هذا أن لكل تركيب نظمه وترتيبه ومواقع ألفاظه.

والترابط في الكلام ووضع كل كلمة في مكانها المناسب من الجملة من أهم مقومات البلاغة والبيان، وكثير من الكلمات لو قدمتها أو أخرتها عن محلها لتغير المعنى الذي تريد، أو ضاع جماله ورونقه، لأن تقديم اللفظ وتحويله من مكان إلى أخر يغير المعنى بتقديم اللفظ وتحويله عن مكانه ليس جزافا وعبثا، وإنما يتم وفق أسس وضوابط وأغراض يقصد إليها المتكلم، فيقدم ما يريد التنبيه عليه والتفات إليه، ويؤخر ما لم ترد فيه ذالك.

ويتميز القران الكريم بالدقة في اختيار الكلمة، والدقة في اختيار موضعها، فإذا قدم كلمة على أخرى فلحكمة لغوية وبلاغية تليق بالسياق العام.

إذن فلكل كلمة في موضعها من الجملة معنى، سواء أكانت تلك الكلمة متقدمة أم متأخرة، والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا يقدم بعض الكلام على بعضه الأخر؟ وما جدوى ذلك؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في هذا البحث.

إن مبحث التقديم والتأخير من أكثر المباحث البلاغية التي نالت اهتمام علماء المعاني ذلك الاهتمام الذي تجلى في رصدهم لصور التقديم والتأخير المتعددة، وما تؤديه كل صورة من قيمة دلالية أو تأثيرية مضافة إلى المعنى الرئيس للعبارة. والترابط في الكلام ووضع كل كلمة في مكانها اللائق من الجملة من أهم مقومات البلاغة والبيان وكثير من الكلمات لو قدمتها أو أخرتها عن محلها لفسد عليك المعنى الذي تريد، أو ضاع جماله ورونقه، أو على أقل تقدير كنت مخلا بأساسيات التعبير العربي الفصيح، فلكل كلمة في موضعها من الجملة معنى سواء أكانت متقدمة أم متأخرة.

وقد جعل النحاة للكلام رتبا بعضها أسبق من بعض، فرتبة المبتدأ مثلا قبل رتبة الخبر ورتبة الفاعل قبل رتبة المفعول، ورتبة المفعول الأول قبل رتبة المفعول الثاني وهكذا، فإن جئت بالكلام على الأصل لم يكن من باب التقديم والتأخير، وان وضعت الكلمة في غير مرتبتها دخلت من باب التقديم والتأخير [1]

والقرآن الكريم هو كلام الله المعجز للخلق في أسلوبه ونظمه، وفي روعته وبيانه، وقد أجمع أهل العربية على أن القران معجز بذاته لفصاحة ألفاظه وروعة بيانه وأسلوبه الفريد الذي لا يشابهه فيه أسلوب أخر من نثر أو من شعر، ومن مظاهر هذا الإعجاز: أسلوب التقديم والتأخير، فعندما ننظر في أجزاء الجملة، ونتأمل الجزء الذي قدم فيها، فسنراه أهم أجزائها، ولم يتقدم إلا لكونه هو الأهم، وموضع عناية الناس واهتمامهم، فالعناية والاهتمام أصل كل تقديم، ثم إن تقديم اللفظ وتحويله عن مكانه، لا يكون جزافا وعبثا، وإنما يتم وفق أسس وضوابط، وأغراض يقصد إليها المتكلم المتمرس الخبير بطرق الكلام، البصير بالأساليب والصياغات، فهو يتصرف في التراكيب، فيقدم ويؤخر عن خبرة وبصيرة ويعرف ما وراء تقديم هذا اللفظ من مغزى، وما تأخير ذلك من غرض.

ويتمثل التقديم في بناء الجمل ركيزة أساسية في بلاغتها وتحقيق مرادها، فإصابة غرض المتكلم لتحقيق التواصل بينه وبين المخاطب، لاسيما أنه يقوم على إعادة ترتيب مكونات الجملة، فيقدم ما حقه التأخير في عرف اللغة واصطلاح النحاة، وتؤخر ما حقه التقديم، ولا يتم ذلك إلا لتحقيق أغراض بلاغية وأسلوبية

وقد بلغ القران الكريم في هذا الفن كما في غيره الذروة في وضع الكمات الوضع الذي تستحقه في التعبير، بحيث تستقر في مكانها المناسب، فكان هذا البحث لبيان بعض الأغراض البيانية لتقديم والتأخير في النظم القرآني الكريم.

(1)- انظر: السامرائي: مجلة المجتمع العلمي، ج1، المجلد الرابع والأربعون، ص71

تعريف التقديم والتأخير:

عند البحث عن معنى التقديم والتأخير في اللغة نجد أن مادة (قدم) تؤدي معان مختلفة ذكرتها المعاجم العربية ...

فالفراهيدي في معجم العين يذكر: القدمة والقدم؛ أي: السابقة في الأمر، ومنه قوله تعالى: "وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم..." (يونس:2)؛ أي: سبق لهم عند الله خير... وقدم فلان قومه؛ أي: يكون أمامهم، والقدم:المضي، أي: يمضي قدما ولا ينثني، ورجل قدم: مقتحم للأشياء يتقدم ويمضي في الحرب قدما[2]

قال الزمخشري: في أساس البلاغةِ: [وأقدم بمعنى تقدما ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة، والإقدام في الحرب، قال عنترة:[3]

وقد شفى نفسي وأبرأ سقمها .. قيل الفوارس ويك عنترة أقدم

ويقال: تقدمه واستقدم عليه وقدمته، وأقدمته، فقدم وأقدم بمعنى: تقدم، ومنه: مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة، والإقدام في الحرب. ويقال: مضى قدما وتأخر آخر، وجاء في أخريات الناس، ويقال: قدم رجلك إلى هذا العمل: أقبل عليه. وفلان يتقدم بين يدي أبيه: إذا تقدم في الشرف والمكارم، ومعاني الأمور] [4]

وقال ابن منظور:(ت711هـ):القدم و القدمة: السابقة في الأمر، وتقدم كقدم، وقدم واستقدم: تقدم، وأخرته فتأخر، واستأجر كتأخر، ومنه قوله تعالى: "ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأجرين" (الحجر:24)، والآخر: خلاف الأول، ويقال: لا مرحبا بالآخر، أي: بالأبعد[5]

وقال الفيروز آبادي: (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي) (ت:817هـ): أقدم على الأمر: شجع، وأقدمته وقدمته، وتأخر وأخر تأخيرا، استأجر[6]

وقد تناقض التقديم والتأخير في اللغة، حيث إن الأول يعني وضع الشيء أمام غيره، فقد كان خلفه، أما الثاني فيعني وضع الشيء خلف غيره فقد كان أمامه، ومن هذا المعنى

---

(2)- الفراهيدي: معجم العين.ج:5، ص:122

(3)- انظر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء. '1'، ص: 306

(4)- الزمخشري: 'أساس البلاغة' مادة (قدم) ومادة (أخر)

(5)- ابن منظور: لسان العرب. مادة (قدم، ومادة أخر)

(6)- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، انظر: (باب الميم، فصل القاف وباب الراء، فصل الهمزة)

انتقل هذا المبحث من الوضع اللغوي إلى الدلالة الاصطلاحية، إذ اعتاد العرب تقديم ما حقه التأخير لفضل دلالة وتمام معنى، وتأخير ما حقه التقديم لغرض ذاته، وذلك بجعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية، أو بعدها لعارض اختصاص أو أهمية أو ضرورة[7]

قال سيبويه (ت:180هـ): "والظاهر أنهم يقدمون الشيء الذي نشأته أهم، وهم به أعنى وإن كانا جميعا مهمين"[8]

ويقول الثعالبي (ت429هـ): [العرب تبتدئ بذكر الشيء والمقدم غيره[9]، كما قال عزوجل: "يامريم اقتني لربك واركعي مع الراكعين" (آل عمران:43)، وكما قال تعالى: "فمنكم كافر ومنكم مؤمن" (التغابن:2).

وكقول حسان بن ثابت_رضي الله عنه_في بني هاشم:

بهاليل منهم جعفر وابن عمه... علي ومنهم أحمد المتخير

وكما قال الصلتان ألعبدي: فملتنا أننا مسلمون على دين صديقنا والنبي[10]

فقد تقدم في الآية الأولى القنوت والسجود على الركوع وهو قبلهما، وتقدم في الآية الثانية الكافر على المؤمن وهو الأصل، وفي بيت حسان بن ثابت تقدم ذكر جعفر وعلي–رضي الله عنهما–على النبي –صلى الله عليه وسلم–كما تقدم في بيت الصلتان العبدي ذكر أبي بكر–رضي الله عنه–على النبي–صلى الله عليه وسلم–

ولا شك في أن العرب كانت تفعل ذلك دلالة على ملكتهم في صوغ الكلام، وحاجتهم إلى إصابة المعنى، وتحقيق الغرض حتى أتى هذا المبحث في كلامهم: [وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق] [11]

---

(7)– عبد الكريم البغدادي: الإكسير في علم التفسير. ص189

(8)– انظر: سيبويه: الكتاب. ج1، ص: 15

(9)– الثعالبي: فقه اللغة وسر البلاغة. ص:8

(10)– المرجع نفسه. الصفحة نفسها

(11)– الزركشي: 'البرهان' ج3'، ص:233

تعريف التقديم والتأخير لغة:

قدم في أسماء الله تعالى: المقدم هو الذي يقدم الأشياء ويضعها في مواضعها، فمن استحق التقديم قدمه والقدم والقدمة السبقة في الأمر، وتقدمه في الإسلام وسبقه قال:(الأخفش): هو التقديم كأنه قدم خيرا وكان له فيه تقديم'قالوا:القدم والسابقة ماتقدموا فيه غيرهم.وقدم نقيض وراء'والقدم المضي أمام أمام.

في التهذيب: يقال مشي فلان القدمية والتقدمية إذا تقدم في الشرف والفصل ولم يتأخر غير الافصال على الناس، ويقال قدم فلان فلانا إذا تقدمه.

قال الجوهري: قدم بالفتح، يقدم قدوما أي تقدم، يقال: قدم يقدم وتقدم يتقدم وأقدم يقدم واستقدم يستقدم بمعنى واحد. وأقدم وأقدم: زجر للفرس وأمر له بالتقديم.

وفي كتاب معاوية إلى ملك الروم: لأكون مقدمته إليك أي الجماعة التي تتقدم الجيش من قدم بمعنى تقدم، وقيل: مقدمة كل شيء أوله، ومقدم كل شيء نقيض مؤخره[12]

آخر: في أسماء الله تعالى: الآخر والمؤخر، فالآخر هو الباقي بعد فناء خلقه كله ناطقة وصامتة، والمؤخر هو الذي تؤخر الأشياء فيضعها في موضعها وهو ضد المقدم والأخر: ضد القدم.

تقول: مضى قدما وتأخر آخرا، والتأخير ضد التقديم، وقد تأخر عنه: تأخرا وتأخرت واحدة، عن اللحياني، وهذا مطرد، وإنما ذكرناه لأن اطراد مثل هذا مما يجهله من لادرب له بالعربية، والتأخير: ضد التقديم، ومؤخر كل شيء، بالتشديد: خلاف مقدمة

قال الليث: الآخر والآخرة نقيض المتقدم والمتقدمة، والمس تأخر نقيض المستقدم[13].

ثانيا؛ اصطلاحا:

"هو جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها'لعارض اختصاص أو أهمية أو ضرورة"[14]

---

(12)–ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم, تحقيق خالد رشيد القاض. دار صبح اديسوفت (دط). (د,ت). ج1 ص:56–59

(13)– انظر: المرجع نفسه. ص:73

(14)–باطاهر بن عيسى.البلاغة العربية، مقدمات وتطبيقات.دار الكتاب,الجديد المتحدة.ط1، 2008.ص110–111

فالتقديم والتأخير هو أحد أركان علم المعاني،لأن المعنى مرتبط به ارتباطا كبيرا. نقول مثلا: "قام زيد"، ونقول: "زيد قام" ولكل جملة مقام يناسبها،فمقام الجملة الفعلية مجرد الاخبار عن القيام، ومقام الجملة الاسمية تأكيد الاخبار عن القيام مع إفادة التخصيص.
والتقديم والتأخير هو أحد دعائم تأليف الكلام ونظمه، وهو موضوع له أهميته في البلاغة العربية[15]

إذن فالتقديم والتأخير هو جعل اللفظ في مكان غير مكانه الأصلي مع الحرص على ألا يحدث ذلك لبسا في المعنى الذي قصده، وتقديم لفظ آخر ليس اعتباطيا ولكن هناك أسباب وأغراض يقضيها المقام وسياق الكلام،فيكون التقديم للاختصاص أو للعناية با للفظ والاهتمام به.

وقد عرفه "عبد القاهر الجرجاني بقوله: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه، ويقضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن أراقك ولفظ عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان الى مكان" [16]

من خلال هذا التعريف نستخلص أن للتقديم والتأخير فوائد ومحاسن كثيرة، وأهدافا وغايات في توضيح المعاني، فنجد أن سبب الرونق واللطف أثناء النظم انما يعود بالدرجة الأولى الى تقديم الشيء فيه وتحويل اللفظ عن مكانه الأصلي الى مكان آخر.أي ماتعرف بالتقديم والتأخير.

فعبد القاهر الجرجاني يرى أن سبب الجمال والرونق أو مايعرف بالتقديم والتأخير لما نسمعه من تثر

(15)- باطاهر بن عيسى: البلاغة العربية. ص:111

(16)-عبد القاهر الجرجاني: دلائل الاعجاز. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط2، 1989، ص" 106

أنواع التقديم والتأخير :

تقديم الخبر على المبتدأ وجوبا: الأصل في الجملة أن يتقدم المبتدأ على الخبر،ولكن قد يتقدم الخبر على المبتدأ.

* وجوبا لأغراض يقتضيها التركيب النحوي للجملة .

* وجوبا لأغراض يقتضيها المعنى وإهتمام السامع.

– **تقديم الخبر على المبتدأ وجوبا:** يتقدم الخبر على المبتدأ وجوبا في أربعة مواضع.

* إذا كان في المبتدأ ضمير يعود على بعض الخبر(جزء من الخبر)، نحو: "في الدار صاحبها"، فالخبر شبه جملة من الجار والمجرور (في الدار) وقد تقدم على المبتدأ لاشتمال المبتدأ على الهاء (صاحبها) والهاء ضمير يعود على الدار وجب التقديم إذ يجوز أن يتقدم المبتدأ لاشتماله على ضمير يعود على جزء من الخبر، وبما أن الخبر متأخرا في الرتبة فلا يجوز أن يعود الضمير على متأخر في اللفظ والرتبة لذا تقدم الخبر وجوبا كي لا يعود الضمير على متأخر لفظا ويكون الإعراب كما يأتي:

في : حرف جر مبني لا محل له من الإعراب.

الدار: اسم مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره وشبه جملة من الجار والمجرور في محل رفع خبر مقدم وجوبا لتضمن المبتدأ ضميرا يعود على الخبر .

صاحبها : صاحب: مبتدأ مؤخرمرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره وهو مضاف والهاء ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه[17]

إذا اشتمل المبتدأ على ضمير يعود على شيء مما هو على الخبر نحو :"عند محمد ضيوفه"، "وفي الدار أصحابها" [18]

إذا اتصل بالمبتدأ ضمير يعود إلى الخبر مثل: "فوق الحصان فارسه"

فوق : ظرف مكان وهو مضاف.

الحصان: مضاف إليه مجرور وشبه الجملة من الظرف في محل رفع خبر مقدم.

فارس: مبتدأ مرفوع بالضمة وهو مضاف.

الهاء : ضمير مبني في محل جر مضاف إليه .

---

(17)–محسن علي عطية: الأساليب النحوية عرض وتطبيق. دار المناهج للنشر والتوزيع عمان، الأردن. الطبعة الأولى.2007 ص: 17

(18)–هادي نهر: النحو التطبيقي. جدار الكتاب العالمي عمان– الأردن ، ط1 ، 2008، ج1 ، ص148.

نلاحظ أن الهاء التي اتصلت بالمبتدأ فارس تعود إلى الحصان وهو من الخبر، ومن قواعد اللغة أن يعود الضمير إلى اسم سبقه لكي يتضح معناه ، وهذا هو سبب تقديمنا للخبر وتأخيرنا للمبتدأ ، ولو جعلنا ترتيب العناصر طبيعيا فقلنا "فارسه فوق الحصان" لكانت الجملة غير صحيحة لأن الضمير سيعود إلى اسم بعده خلافا للقاعدة[19]

إذا كان المبتدأ نكرة غير مخصصة (غير موصوفة) وكان الخبر شبه جملة ظرفا أو جارا أو مجرورا نحو قوله تعالى {في قلوبهم مرض} (سورة محمد الآية:59).

"في قلوبهم" جار ومجرور شبه جملة في محل رفع خبر مقدم وجوبا وقوله تعالى: {ولكم في الأرض مستقر} (البقرة 365)

"لكم" جار و مجرور شبه جملة في محل رفع خبر مقدم وجوبا و نلاحظ أن المبتدأ في الآيات الكريمات (مرض–مستقر) جاء نكرة غير مخصصة (غير موصوفة) وأن الخبر جاء شبه جملة جار ومجرور لذا تقدم الخبر على المبتدأ وجوبا.

فالخبر يتقدم وجوبا إذا كان المبتدأ نكرة غير مخصصة والخبر شبه جملة نحو: "عندي قلم"، أما إذا وصف القلم فلا يكون التقديم وجوبا بل جوازا فيصبح القول: "عندي قلم جديد، وقلم جديد عندي" [20]

أن يكون المبتدأ نكرة ليس لها مسوغ إلا تقديم الخبر,، والخبر ظرف أو جار أو مجرور نحو"عندي ضيف عزيز" و"في الدار ضيف" فإذا وصفت النكرة جاز الأمران تقول "عندي ضيف عزيز" و"ضيف عزيز عندي" [21]

أن يكون تقديم الخبر مصححا للإبتداء بالنكرة وهو الظرف والجار والمجرور والجملة[22]

إدا كان المبتدأ نكرة غير مفيدة ,وكان الخبر شبه جملة كقوله تعالى: "وعلى أبصارهم غشاوة" (البقرة 75)، فالجار والمجرور في محل رفع خبر مقدم .

غشاوة: مبتدأ مؤخر مرفوع ,وهدا الإسم لا يجوز الإبتداء به لأنه نكرة غير مفيدة فوجب تأخره وتقديم الخبر عليه .

---

(19)–عبد الرزاق عبد المطلب ، الجديد في الأدب ، دار شريفة ، 2006 ،ص35

(20)–محسن علي عطية، الأساليب النحوية، ص 281.

(21)–هادي نهر، النحو التطبيقي، ص 148.

(22)–جلال الدين السيوطي: المطالع السعيدة بشرح الفريدة، في النحو والصرف والخط، تحقيق، نبهان ياسين حسين، دار الرسالة للطباعة بغداد (د،ط) 1977، ص 269.

وتقول"عندنا ضيوف"، فعند: ظرف مكان منصوب وهو مضاف .

ونا: ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه، وشبه الجملة من الظرف في محل رفع خبر مقدم .

ضيوف:مبتدأ مؤخر مرفوع (وهو نكرة غير مفيدة لايجوز الإبتداء بها) [23]

إدا كان الخبر اسم إستفهام مثل:"من أنت؟ "فمن: اسم إستفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأمؤخر، وقد نتساءل كيف عرفنا أن "من" خبر والجواب .

أنك لو أجبت عن السؤال لوجدت الكلمة التي تعوضها تقع خبرا. فنقول "الفتاة التي نسألتها". "أنا زينب" فالضمير "أنا": مبتدأ، وقد جاء عوضا عن الضمير أنت، وزينب: خبر فقد جاءت عوضا عن اسم استفهام من.

والخلاصة أن اسم الإستفهام يجب تقديمه سواء كان مبتدأ أو خبر لأنه من الأسماء التي لها الصدارة في الكلام[24]

إذا كان الخبر من الألفاظ التي لها الصدارة في الكلام (في الجملة)، فلا يصبح تأخيره ومن الألفاظ التي لها الصدارة في الكلام وتأتي خبرا: أسماء الإستفهام نحو: "أين زيد؟ "فكلمة "أين": اسم إستفهام مبني على الفتح في محل خبر مقدم وجوبا لكونه له الصدارة في الجملة ونحو: "متى السفر"

متى:اسم استفهام مبني في محل رفع خبر مقدم وجوبا.

السفر:مبتدأمؤخر .

ومثلهما قولك:"كيف الحال ؟"و"من الحاضر؟"

وهكذا إذا كان الخبر مضاف إلى اسم استفهام كقولك:" حقيقة من هذه"، فحقيقة :خبر مقدم وجوبا مضاف إلى اسم استفهام .

من هده:مبتدأمؤخر .

ومن أمثلة أسماء الإستفهام خبر مقدما وجوبا قوله تعالى:"أيان يوم القيامة"، وقوله: "ما القارعة"، وقوله: "أيان مراسها"

---

(23)–عبد الرزاق عبد المطلب، الجديد في الأدب. ص35.

(24)– المرجع نفسه. ص نفسها

فأسماء الإستفهام المذكورة في هده اليات تعرب أخبارا متقدمة وجوبا لأن ما بعدها جاء اسما معرفا مرفوعا ولأن له الصدارة في الكلام[25].

إذا كان الخبر مقصورا على المبتدأ محصورا فيه بـ "إلا" أو"إنما" والقصر هنا تخصيص شيئ بشيئ آخر بحيث يكون أحدهما مختصا با لأخر متفرغا له لا يتجاوزه إلى غيره ويسمى الحصر نحو ذلك "ما البحتري إلا شاعر"، فقد اقتصر البحتري على الشعر فالبحتري مقصور وهو المبتدأ، وشاعر مقصور عليه وهو الخبر، أما لو قلت: "ما شاعر إلا البحتري" فهذا يعني أنك قصرت (شاعر وهو خبر) على المبتدأ وهو البحتري أو انك حصرت الخبر (شاعر) في المبتدأ (البحتري) وقد تم القصر أو الحصر بـ "ما" النافية و"إلا"، ويمكن أن يكون بـ "إنما "نحو": إنما شاعر البحتري"، فلو قلنا "البحتري شاعر" فهذا لا يمنع ان يكون غيره شاعرا أيضا وعندما نقول: "ما شاعر إلا البحتري" فهو أننا حصرنا الشاعر فيه وحده دونه غيره [26]

أن يقترب المبتدأ بأداة حصر نحو: "ما في الدار إلا زيد" "وإنما في الدار زيد"[27]، و"ما خالق إلاالله "

من خلال ما سبق يتضح لنا ان النحاة بينوا مواضع تقديم الخبر على المبتدأ وجوبا وهي:

-إذا كان الخبر من الألفاظ التي لها الصدارة في الكلام كأسماء الإستفهام

-إذا كان الخبر مقصورا على المبتدأ محصورا فيه أي إدا أترن المبتدأ بأداة حصر"إلا"

-إذا كان الخبر شبه جملة والمبتدأ نكرة غير مخصصة أو غير مقيدة

-إذا إشتمل على ضمير يعود على الخبر

أسباب التقديم و التأخير في القرآن الكريم:

إن للتقديم والتأخير أسباب كثيرة و قد كان القرآن الكريم المثل الذي يتطلع إليه أهل الصناعة الأدبية والبيانية ليهتدوا إلى أفضل السبل لتجميل الكلام والأحاديث، وقد ذكر الزركشي أسباب كثيرة من بينها :

أن يكون أصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه، كتقديم الفاعل على المفعول، والمبتدأ على الخبر، وصاحب الحال عليها نحو: "جاء زيد راكبا ".

---

(25)-محسن علي عطية، الأساليب النحوية ،ص281-282

(26)- المرجع نفسه. ص نفسها

(27)-جلال الدين السيوطي: المطالع السعيدة في شرح الفريدة في النحو والصرف والخط. ص269

أن يكون في التأخير إخلال ببيان المعنى كقوله تعالى: [و قال رجل مؤمن من أهل فرعون يكتم إيمانه] (غافر28)، فإنه لو أخر قوله "من آل فرعون" فلا يفهم أنه منهم .

أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب، فيقدم لمشاكله الكلام، ولرعاية الفاصلة كقوله تعالى: [اسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون] (فصلت27)، بتقديم (إياه) على (تعبدون) لمشاكلة رؤوس الآيات.

لعظمته و الإهتمام به، و ذلك أن من عادة العرب الفصحاء إذا أخبرت عن مخبرها و أناطت به حكما – و قد يشركه غير في ذلك الحكم، أو فيما أخبر عنه و قد عطفت أحدهما على الآخر بالواوالمقتضية عدم الترتيب، قال تعالى:[وأقيموا الصلاة و آتوا الزكاة] (البقرة43)، فبدأ بالصلاة لأنها أهم .

أن يكون الخاطر ملتفتا إليه والهمة معقودة به، و ذلك كقوله تعالى:[و جعلوا لله شركاء] (الأنعام100)، بتقديم المجرور على المفعول الأول، لأن الإنكار متوجهة إلى الجعل لله لا إلى مطلق الجعل[28]

أن يكون التقديم لإرادة التبكيت والتعجيب من حال المذكور كتقديم المفعول الثاني على الأول في قوله تعالى : " وجعلوا لله شركاء الجن" (الأنعام 100) ، والأصل الجن شركاء، وقد قدم لأن المقصود (التوبيخ) وتقديم الشركاء أبلغ في حصوله[29]

–التقديم لمراعاة نظم الكلام : من المتاحات الجمالية الكثيرة الحاصلة من جراء التقديم والتأخير مراعاة نظم الكلام التي تحولت إلى سبب هام من أسباب التقديم والتأخير التي يعول عليها في تدريس عامل النغم في بناء الموسيقى حتى يتطلب الأمر تعديلا خاصا في تركيب الكلام بما يحقق الإنسجام في بناء الفواصل

أما السيوطي فقد ذكر عشرة أسباب للتقديم و التأخير في الكتاب العزير وهي :

الشرك : كتقديم اسم الله في الأمور ذوات الشأن ، ومنه قوله تعالى :" شهد الله أن لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما" (آل عمران 18).

التعظيم : كقوله :" ومن يطع الله والرسول" (النساء).

---

(28)–الزكرشي: البرهان في علوم القرآن. مكتبة دار التراث،(د،ط)،(د، ت)...ج3، ص: 236.

(29)–المرجع نفسه. ص 236

التشريف: كتقديم الذكر على الأنثى في نحو: "إن المسلمسن والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات " (الأحزاب35) والسمع في قوله :" إن السمع والبصر والفؤاد" (الإسراء36).
وتقديم الإنسان على الجن حيث ذكروا في القرآن، وتقديم النبيين على الصديقين وتقديم المؤمنين على الكفار، وأصحاب اليمين على أصحاب الشمال، والسماء على الأرض والشمس على القمر، ومنه تقديم الغيب على الشهادة في قوله: "عالم الغيب والشهادة" (المؤمنون 92) لأن علمه أشرف .
المناسبة : وهي إما مناسبة المتقدم لسياق الكلام، كقوله: "ولكم فيها جمال حيث تريحون وحين تسرحون "(النحل).
فإن الجمال بالجمال وإن كان ثابتا حالتي السراح والإراحة إلا أنهما حالة إراحتهما، وهو مجيئها من المرعى آخر النهار، يكون الجمال فيها أفخر إذ هي فيه بطان، وحالة سراحها للرعي أول النهار يكون الجمال بها دون الأول، إذ هي فيه خصاص وإما مناسبة لفظ هو من التقديم والتأخر كقوله تعالى: "هو الأول والآخر" (الحديد).
الحث عليه والحرص على القيام به حذرا من التهاون به، كتقديم الوصية على الدين في قوله: "من بعد وصية يوصي بها أو دين" (النساء11) مع أن الدين مقدم عليها شرعا[30]
السبق : وهو إما في الزمان باعتبار الإيجاد ، كتقديم الليل على النهار والظلمات على النور، وآدم على نوح، ونوح على إبراهيم، وإبراهيم على موسى وهود على عيسى، وداود على سليمان، والملائكة على البشر في قوله: "الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس" (الحج75)، والأزواج على الذرية، والسنة على النوم أو باعتبار الإنزال، أو باعتبار الوجوب والتعليق، أو بالذات، أو للحث على الجماعة والاجتماع على الخير .
السببية: كتقديم العزيز على الحكيم، لأنه عز فحكم، والعليم عليه لأن الإحكام والإتقان ناشئ عن العلم ومنه تقديم العبادة على الإستعانة في سورة الفاتحة لأنها سبب حصول الإعانة، وكذا قوله: "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين" (البقرة.222)؛ لأن التوبة سبب للطهارة .

(30)- السيوطي معترك الإقتراب في إعجاز القرآن. دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط:1، 1988، ج.1. ص:131-132

الكثرة: كقوله [فمنكم كافر ومنكم مؤمن] التغابن، لأن الكفار أكثر، قل فقدمهم على المؤمنين، قيل: وقدم السارق على السارقة لأن السرقة في الذكور أكثر، والزانية على الزاني فيهن أكثر. ونحو قوله: [يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون] (الحج.77)، فبدأ بالركوع وهو أقل المذكورات ثم السجود وهو أكثر ثم عبادة الرب وهي أعم ثم فعل الخير، فهو هناك تدرج من القلة إلى الكثرة، وقد يكون الكلام بالعكس، فيتدرج من الكثرة إلى القلة وذلك نحو قوله تعالى: [اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين] (آل عمران.43). فبدأ بالقنوت وهو عموم العبادة ثم السجود وهو أخص، وأقل من عموم العبادة التي هي القنوت ثم الركوع وهو أقل وأخص منهما.

الترقي من الأدنى إلى الأعلى: كقوله: [ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آدان يسمعون بها...] (الأعراف.195). بدأ بالأدنى بغرض الترقي لأن اليد أشرف من الرجل، والعين أشرف من اليد والسمع أشرف من البصر.

التدلي من الأعلى إلى الأدنى: كقوله تعالى: [لا تأخده سنة ولا نوم] (البقرة.255) [31]

(31)–السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن .ص:135.134.133

أهمية التقديم والتأخير:

التقديم والتأخير سمة أسلوبية لها عظيم الأثر في روعة الأسلوب وبلاغته وأهم مباحث علم المعاني الذي يبحث في بناء الجمل وصياغة العبارات، ويتأمل التراكيب، لكي يبرز ما يكمن وراءها من أسرار ومزايا بلاغية

وينقل لنا السيوطي(ت:911هـ) أن السلف–رضوان الله عليهم– قد أشكل عليهم معنى بعض الآيات، فلما عرفوا أنها من باب التقديم والتأخير اتضح مدلولها، فقد أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى: "فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا..."(التوبة:55) قال: هذا من تقديم الكلام، يقول: لتعجبك أموالهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة، وأهمية التقديم والتأخير في كلام العرب تتضح من وجهين:

الأول: أنه سمة بارزة في الكلام تشهد للعرب [بتمكنهم من الفصاحة، وامتلاكهم ناصية الكلام، وتصرفهم فيه على حكم ما يختارونه، وانقياده لهم لقوة ملكتهم فيه، ثقة بصفاء أدهانهم] [32]، فهو علامة من علامات سمو التفكير عند العرب.

الثاني: أنه كما يقول عبد القاهر الجرجاني: [باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويقضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان][33]، فضلا عن أنه [يدلك على عظم شأن (النظم) وتعلم به كيف الإيجاز وما صورته، وكيف يزاد في المعنى من غير أن يزاد في اللفظ،إذ قد ترى أن ليس إلا تقديما وتأخيرا، وأنه قد حصل لك بذلك من زيادة المعنى ما إن حاولته مع تركه لم تحصل لك...] [34]

وتكمن أهمية التقديم والتأخير في الأسلوب القرآني من حيث إن كل تقديم وتأخير فيه على حكمة بالغة، وقدرة فائقة، ليس فيه ما يفسد المعنى، وإنما فيه الواضح الجلي البليغ، وليس هناك ما يقوم مقامه، فكأن المعنى يقتضي ما تقدم أو تأخر اقتضاء طبيعيا، بما يؤثر في الملتقى تأثيرا واضحا، قال الجرجاني (474هـ):

---

(32)– ابن القيم: الفوائد المشوق. ص:106

(33)– الجرجاني: دلائل الإعجاز. ص:106

(34)– المرجع نفسه. ص:388

"اعلم أنه إذا كان بينا في الشيء أنه لا يحتمل إلا الوجه الذي هو عليه، حتى لا يشكل وحتى لا يحتاج في العلم بأن ذلك حقه، وأنه هو الصواب إلى فكر ورويه فلا مزية، وإنما تكون المزية ويجب الفضل، إذا احتمل في ظاهرة الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجها آخر، ثم رأيت النفس تبدو عن ذلك الوجه الآخر، ورأيت للذي جاء عليه حسنا وقبولا تعدمها إذا أنت تركته إلى الثاني، ومثال ذلك قوله تعالى: "وجعلوا الله شركاء الجن" (الأنعام:100) وليس بخافٍ أن لتقديم (الشركاء) حسنا وروعة، ومأخذا من القلوب، أنت لا تجد شيئا منه إن أنت أخرت فقلت: [وجعلوا الجن شركاء الله]، إذ أدرك الجرجاني أن (للتقديم فائدة شريفة، ومعنى جليلا لا سبيل إليه مع التأخير)، وبيانه: إنا وان كنا نرى جملة المعنى ومحصوله أنهم جعلوا الجن شركاء، وعبدوهم مع الله تعالى، وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم، فإن تقديم (الشركاء) يفيد هذا المعنى ويفيد معه معنى آخر، وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون الله شريك لا من الجن ولا من غير الجن.

واذا أخر فقيل: (جعلوا الجن شركاء الله) لم يفد ذلك، ولم يكن فيه شيئ أكثر من الإخبار عنهم بأنهم عبدو الجن مع الله تعالى، فأما إنكار أن يعبد مع الله غيره، وأن يكون له شريك من الجن وغير الجن، فلا يكون في اللفظ مع تأخير (شركاء) دليل عليه، وذلك أن التقدير يكون مع التقديم: أن (شركاء) مفعول أول لجعل، و(الله) في موضع المفعول الثاني، ويكون(الجن) في كلام ثان، وعلى تقدير أنه قيل: (فمن جعلوا شركاء الله تعالى) فقيل: (الجن) واذا كان التقدير كذلك، وقع الإنكار على كون شركاء الله تعالى على الاطلاق من غير اختصاص شيء دون شيء، وحصل من ذلك أن اتخاذ الشريك من غير الجن قد دخل في الانكار دخول اتخاده من الجن... وإذا أخر فقيل (وجعلوا الجن شركاء الله)... كان الشركاء مخصوصا غير مطلق، من حيث إنه كان محالا أن يجري خبرا على الجن، ثم يكون عاما فيهم وفي غيرهم، وإذا كان كذلك احتمل أن يكون القصد بالانكار الى الجن خصوصا أن يكونوا شركاء دون غيرهم، جل الله تعالى عن أن يكون له شريك وشبيه بحال [35]

(35)- الجرجاني: دلائل الاعجاز. ص: 286-287. وانظر: الكواز: الأسلوب في الانجاز القرآني. ص:308-309

وقد رأى السكاكي (ت626هـ): أن تقديم المفعول الثاني (لفظ الجلالة: الله) على الأول: (شركاء) بناء على هذا التقدير كان للعناية به، والاهتمام بشأنه[36]

وقد رد القزويني تعليل السكاكي لتقديم (الله) بالعناية [37]

وفي الحقيقة عندما ننظر في أجزاء الجملة، ونتأمل الجزء الذي قدم فيها، فسنراه أهم أجزائها، ولم يقدم إلا لكونه هو الأهم، وموضع عناية الناس وانشغالهم، فالعناية والاهتمام أصل في كل تقديم، إلا أنه ينبغي أن يمتد تأملنا الى أبعد من هذا، فنعرف سبب العناية ونقف على دواعي الأهمية، وقد حذر عبد القاهر الجرجاني من أن يقف عند العناية والاهتمام، ويعدهما سببا لتقديم، دون أن ينقب عن دواعي الاهتمام، ويفتش عن أسباب العناية، يقول عبد القاهر الجرجاني: [وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال: إنه قدم للعناية، ولأن ذكره أهم، غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية، ولمَ كان أهم، ولتخيلهم ذلك، صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم، وهو نوى الخطب فيه...] [38]

أنواع التقديم والتأخير: قد ورد منه القرآن الكريم أنواعا حصرها الزركشي في ثلاثة:

النوع الأول؛ ما قدم والمعنى عليه: أي أن اللفظ والمعنى مقصود تقديمها، ومقتضيات هذا النوع وأسبابه كثيرة، ذكر منها الزركشي خمسة وعشرين[39]

النوع الثاني؛ مما قدم والنية به التأخير: أي لفظة مقدم، ومعناه مؤخر [40]

وهذان النوعان يكونان في آية واحدة، أو سياق واحد.

النوع الثالث؛ ما قدم في آية وأخر في أخرى:

وهذا الاختلاف في نظم العبارات ذوات المعنى الواحد، لا يظهر إلا بمقارنة عبارتين تتحدثان عن موضوع واحد، فتجد أن كلمة أو أكثر قد قدمت في موضع، وأخرت في آخر، وهذا النوع هو الذي يخص هذا البحث، ويسميه بعض العلماء بالتقديم غير الاصطلاحي، وسأعرض لذكر نماذج متعددة منه ودراستها لمحاولة تلمس الحكم والدلالات البلاغية فيها، وللاستشهاد بها على روعة وعظمة القرآن الكريم، وعلو بلاغته

---

(36)- انظر السكاكي: مفتاح العلوم. ص:128

(37)- انظر: الايضاح. ص: 70. وبغية الايضاح.ج:1، ص:272. وشرح التلخيص. ج:2، ص:164

(38)- الجرجاني: دلائل الاعجاز. ص:135

(39)- انظر: الزركشي: البرهان. ج:3، ص: 238-275

(40)- انظر: المرجع نفسه. ص: 275-283

وسموه على كلام الناس وأساليبهم، بهذا النظم المحكم، وتلك البلاغة المعجزة التي تجلت في جميع سوره وآياته، بل في وضع حروفه من ألفاظه من جملة وجملة من تراكيبه[41]

وهذه الأنواع التي أوردها الزركشي (ت794) لم يبحث فيها البلاغيون إلا من خلال الجملة والعملية الإسنادية، فما كان خارجا عن نطاق الجملة، ولاعلاقة له بالإسناد كان اهتمامهم به قليلا، ولذلك كانت دراستهم لموضوع التقديم والتأخير قاصرة ومحدودة. أما المفسرون والذين عنوا بأسلوب القرآن الكريم، فقد تجاوزوا ذلك، وتحدثوا عن التقديم والتأخير في ألفاظ القرآن الكريم كاشفين عن المعاني البلاغية في الأسلوب القرآني التي أودعها الله في كتابه العزيز، فكانت دراستهم لموضوع التقديم والتأخير في هذا المجال أكثر عمقا، وأغزر مادة، وأكثر فائدة للدارسين، ولا يكاد يستثنى إلا عبد القاهر الجرجاني الذي أبدع في تحليل الأساليب البلاغية. [42]

ويبدو أن سبب ذلك من وجهين:

الأول: اعتماد الأسلوب القرآني والمفسرين على السياق في معرفة سبب التقديم والتأخير لأن السياق مهم في بيان معاني الآيات، وفي الكشف عن كيفية نظم الكلام، مراعاة لتلك المعاني، في حين لم يعتمد علماء البلاغة عن السياق اعتمادا واضحا.

الثاني: منهج التأليف البلاغي اقتضى توزيع البحث في التقديم والتأخير على المسند والمسند اليه ومتعلقات الفعل[43]. فضاعت معالم هذا الفن الرفيع...

أما علماء الأسلوب القرآني والمفسرين، فقد جمعوا مادته، وحصروا أنواعه في فصول مفردة له، وقد تمرسوا هذا الفن حين تصديهم لشرح كتاب الله، وايضاح معانيه، وبيان مظاهر الجمال والاعجاز فيه، وحصروا أنواعه في فصول مفردة، كما فعل الزركشي في البرهان، أو أشاروا اليه في سياقاته، كما فعل الخطيب الإسكافي في (درة التنزيل) والزمخشري في كتابه: (ملاك التأويل)، فهو عندهم ألصق بمواصفه وسياقاته، ومعانيه مما هو عند البلاغين[44]

---

(41)- فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب. ص:64

(42)- انظر: الكواز: الأسلوب في الاعجاز البلاغي. ص: 325-326

(43)- الإيضاح. ج1، ص: 101-102

(44)- انظر: الأسلوب في الاعجاز البلاغي في القرآن الكريم. ص: 326

إن تقديم الألفاظ بعضها على بعض له أسباب عديدة يقتضيها المقام وسياق الكلام والتقديم إنما يكون للعناية والاهتمام، فما كانت عنايتك أكبر قدمته في الكلام.

ولعناية باللفظة لا تكون من حيث أنها لفظة معينة، بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال، ولذا نرى القرآن يقدم لفظة مرة، ويؤخرها مرة أخرة على حسب المقام، فنراه مثلا يقدم السماء على الأرض، ومرة يقدم الأرض على السماء، ومرة يقدم الجن على الانس ومرة يقدم الانس على الجن، ومرة يقدم الضرر على النفع، ومرة يقدم النفع على الضرر كل ذلك بحسب ما يقتضيه الكلام وسياق التعبير.

فاذا أردت أن تبين أسباب هذا التقديم أو ذاك، فإنه لا يصح الاكتفاء بالقول إنه قدم هذه الكلمات للعناية بها والاهتمام دون تبين مواطن هذه العناية وسبب هذا التقديم.

إن القرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ ورصفها بجنب بعضها بعضا دقة عجيبة، فقد تكون له خطوط عامة في التقديم والتأخير، وقد تكون هناك مواطن تقتضي تقديم هذه اللفظة أو تلك، وكل ذلك مراع فيه السياق الكلام، والاتساق العام في التعبير على أكمل وجه وأبهى صورة.

الفصل الثاني:

دراسة تطبيقية لبيان دلالات وبلاغة التقديم والتأخير في سورة التكوير

دلالات وبلاغة التقديم والتأخير في بعض آيات القرآن:

التوافق في القرآن الكريم ليس محصورا بين سورة فقط، أو بين آياته، بل إن التوافق كذلك موجود بين كل كلمة والتي تليها في الآية نفسها، وكذلك بين مقدمة الآية وختامها، حيث يرد الختام على هيئة تعقيب مناسب يتلاؤم تمام التلاؤم مع المعاني التي تضمنتها الآية وهو ما يسميه البلاغيون بالتذييل.

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز: [وآية ذلك: أنك ترى أحد البلغاء حين يتعقب كلام نفسه الفينة بعد الفينة، يجد فيه وائدا يمحوه، وناقصا يثبثه، ويجد فيه ما يهذب ويبذل، وما يقدم أو يؤخر، حتى يسلك سبيله إلى النفس سويا، ولعله لو رجع إليه سبعين مرة لكان له في كل مرة نظرة، وكلما كان أنقد بصرا وأدق حسا، كان أقل في ذلك قناعة، وأبعد همّا إذ يرى وراء جهده غاية هي المثل الأعلى الذي يطمح إليه ولا يطاوعه، والكمال البياني الذي يتعلق به خياله ولاينالاه "كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه" (الرعد:14)، هذا الكلام البليغ عند قائله، فما ظنك بناقد به ومنافسه؟[45]

سل العلماء ونقاد الشعر والكلام: هل رأيتم قصيدة أو رسالة كلها أو جلها معنى ناصع ولفظ جامع ونظم رائع...؟ لقد أجمعت كلمتهم على أن أروع الشعراء لم يبلغوا مرتبة الإجادة إلا أبيات محدودة، من القصائد معدودة، وكان لهم وراء ذلك المتوسط والرديء والغث والمستهلك، وكذلك قالوا في الكتاب والخطباء، والأمر فيهم أبين[46]

ثم يقول: ضع يدك حيث شئت من المصحف، وعد ما أحصته كفك من الكلمات عدا، ثم أحصِ عدتها من أبلغ كلام تختاره خارجا عن الدفتين، وانظر نسبة ما حواه هذا الكلام من المعاني إلى ذاك، ثم انظر كم كلمة تستطيع أن تسقطها أو تبدلها من هذا الكلام، دون إخلال بغرض قائله ...؟ فكتاب الله كما يقول ابن عطية: [لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم توجد]، بل هو كما وصفه الله: [كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير] (سورة هود:11) [47]

والقرآن الكريم يقدم الألفاظ ويؤخرها حسب ما يقتضيه المقام، وحسب ما يقتضيه السياق وتبعا للمعنى المقتضي للتقديم، وهذه بعض الأمثلة التي تبين دقة القرآن وبلاغته في

---

(45)- دراز: النبأ العظيم. ص: 102-103

(46)- المرجع نفسه. ص: 104-105

(47)- المرجع نفسه. ص: 106-107

أسلوبي التقديم والتأخير، ولا يتسع هذا البحث بل لا يسمح باستقصائها كلها، فذلك أمر صعبُ المنال.

قال الله تعالى: "ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون" (آل عمران:157-158)، فقدم القتل على الموت في الآية الأولى لأن الحديث فيها عن الجهاد في سبيل الله، فقدم القتل (رأي الشهادة) على الموت، فالمجاهد الشهيد الذي يسقط في المعركة، والذي يناسبه القتل أعظم درجة من المجاهد الذي يموت على فراشه وان كان كل منهما تناله مغفرة الله ورحمته، لذا ختم الآية بقوله: "المغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون" (آل عمران:157)، وهي خاتمة طيبة تهفو إليها النفوس المؤمنة

أما في الآية الثانية: فقدم الموت على القتل، لأن الحديث فيها عن القتل والموت في الظروف والحالات الطبيعية، وليس في الجهاد في سبيل الله، لذا ختم الآية بقوله: "لإلى الله تحشرون"، إذ الميت والمقتول كلاهما بحشره الله إليه، فشتان ما بين الخاتمتين، فلم يزد في غير الشهيد، ومن مات في سبيل الله، على أن يقول: "لإلى الله تحشرون"، وقال في خاتمة الشهيد: "لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون" (آل عمران:157). فوضع كل لفظة في الموضع الذي يقتضيه السياق.

ومن ذلك قوله تعالى: "ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم" (سورة الأنعام:151)، وقوله تعالى:"ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقكم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا"(سورة الاسراء:31)

ففي الآية الأولى قال: (من إملاق)، وفي الآية الثانية قال:(خشية إملاق)، وفي الأول قال: (نحن نرزقكم وإياهم)، وفي الثانية: (نحن نرزقهم وإياكم)

والآية الأولى: خطاب للفقراء الذين يعيشون حاليا في الفقر الشديد ويقتلون أولادهم، لأنهم لايجدون ما يأكلون فضلا عن أن يطعموا أولادهم... لأنهم يخشونه، فقدم رزق الآباء في الآية الأولى على الأبناء.

أما الآية الثانية: فهي خطاب للأغنياء الذين يعيشون في رغد من العيش، ويخشون أن يأتي يوم يصابون فيه بالفقر، أو يخشون أن كثرة عدد أولادهم يجعلهم لا يرثون المال الكثير، فيؤثر ذلك في إسعادهم، والخشية إنما تكون مما لا يقع، لذا فهم يقدمون على قتل

أولادهم، فكان رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم، لأنه حاصل، فكان أهم، فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم[48]

ليكون أمنع لهم من ارتكاب القتل: [وكأن السياق يشعر بتشفيع الأولاد في رفع الأباء القاتلين، فكأنه قد قيل لهم: إنما ترزقون بهم، فلا تقتلوهم، فتأكد تقديم ضمير الآباء لهذا الغرض] [49]

وذكر صاحب التحرير والتنوير نكتة لطيفة في تقديم ضمير الآباء على الأولاد مفادها:أن الفقر أصاب الآباء'ربما قيل أن يولد الأبناء، فلماذا يقتلون...؟ يقول: [وقد رزق الآباء للاشارة الى أنه كما رزق الآباء فلم يموتوا جوعا'كذلك يرزق الأبناء، على أن الفقر انما اعترى الآباء فلم يقتل لأجله الأبناء؟] [50]

والمقصود بالأولاد في هذه الآيات ونظائرها كان يقصد بها البنات لأنهم هم الذين كانوا يقتلون، وبشارة سوء لآبائهم، فيقتلن وأدا، ولكن خصص لذلك لفظ الأولاد، لأن البنت يقال لها: ولد، وجرى الضمير على اعتبار اللفظ في قوله: (نرزقهم على لفظ المذكر) [51]

وأيضا فإن تقديم ضمير الأولاد على ضمير الآباء علة للنهي عن قتلهم، وإبطالا لمعذرتهم، [لأن الفقر قد جعلوه عذرا لقتل الأولاد، ومع كون الفقر لا يصلح أن يكون داعيا لقتل النفس، فقد بين الله أنه لما خلق الأولاد فقد قدر رزقهم، فمن الحماقة أن يظن الأب أن عجزه عن رزقهم يخوله قتلهم، وكان الأجدر به أن يكتسب لهم][52]

ولعل هذا يقودنا إلى الحديث عما يسمى في الوقت الحاضر: (حقن الرحمة)، (أو الموت الرحيم) أو غيرها من المسميات التي تستخدم لقتل المرضى الميؤوس من شفائهم، فبدلا من أن يجتهدوا في إيجاد العلاج لهم أو يتركوهم على حالهم يبادرون بقتلهم، وكأنهم أرحم بالعباد من رب العباد، إن الكفر يحجب عنهم حكم الله في ابتلاء خلقه[53]

ومن ذلك قوله تعالى في وصف خمر الجنة: "لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون" (الصافات:47)، ففي تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: (لا فيها غول) دلالة على

---

(48)- خليفة: نهايات الآيات القرآنية. ص: 58

(49)- الغرناطي: ملاك التأويل، ج:1، ص:479

(50)- ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج:8، ص:159

(51)- انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج:15 ص: 88

(52)- ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج:8 ، ص: 159

(53)- انظر: التقديم والتأخير في القرآن الكريم. مجلة الدعوة الاسلامية، عدد:21، 2004

نفي الغول عن خمر الجنة، وإثباته لخمور الدنيا، فخمور الذنيا تغتال العقول، أي:تفسدها وينزف عنها شاربوها؛ أي:يسكرون، وتذهب عقولهم، أما الخمر الجنة فمنزهة عن ذلك.

وللسائل أن يقول: لماذا لم يقدم الجار والمجرور في وصف القرآن في أول سورة البقرة في قوله تعالى: "لا ريب فيه" (البقرة:2)، كما فعل في الآية السابقة: "لافيها غول"...؟

وللاجابة عن ذلك نقول إن الله تعالى أراد في هذا الترتيب للجملة "لا ريب فيها" أن يبقى الريب عن القرآن الكريم دون أن يتعرض للكتب السماوية الأخرى، بمدح أو غير مدح... ولو عكس التعبير فقال: "لا فيه ريب" لأدى إلى نفي الريب عن القرآن، وإثباته في الوقت لغيره من الكتب، وهو غير مراد.

ومن ذلك قوله تعالى: "إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله" (الأنفال:72)

وقوله: "الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون" (التوبة:20) ...

فقدم: الأموال والأنفس على: "في سبيل الله" في سورة الأنفال، وقدم: "في سبيل الله" على الأموال والأنفس في سورة التوبة.

وبالرجوع الى السياق في سورة الأنفال نجد أن الأية جاءت في مدح المؤمنين الذين وقع منهم [الايمان والهجرة والجهاد بالأموال والأنفس، وتغبيطهم بما من الله عليهم به من ذلك وتفخيم فعلهم الموجب لمولاة بعضهم البعض][54]

فعرضت الآية إلى اعتبار المهاجرين والأنصار في مرتبة واحدة، في تأييد الدين ونصرته بالنفس والمال، والإنسان بطبيعته حريص على حياته وماله، خصوصا في وقت الضنك والحاجة فهذا لم يمنعهم من البذل والايثار، ولا شك أن فضل المهاجرين يعلو درجة على الأنصار، وكلا وعد الله الحسنى، فالمهاجرون امتازوا بإيوائهم...

وكان فضل المجاهدين أقوى؛ لأنهم فضلوا الإسلام على وطنهم وأهليهم، وبادر الله إليه أكثرهم، فكانوا قدوة ومثالا صالحا للناس[55].

وبمعنى آخر: تقدم في سورة الأنفال ذكر المال والفداء والغنيمة من مثل قوله: "تريدون عرض الدنيا" (الأنفال:67)، وهو الذي فدى به الأسرى أنفسهم، وقوله: "لولا كتاب من الله

(54)- الغرناطي: ملاك التأويل.ج:1، ص:581

(55)- انظر: تفسير التحرير والتنوير. ج:10، ص:84

سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم" (الأنفال:69)، وغير ذلك، فقدم المال ههنا، لأن المال كان مطلوبا لهم حتى عاتبهم الله في ذلك، فطلب أن يبدأو بالتضحية به.

وأما في سورة التوبة، فالأمر ليس كذلك، فهي تقصد الرد على من سوى بين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وبين الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله، إذ قال تعالى: "أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الأخر وجاهد في سبيل الله لايستوون عند الله ..." (التوبة:19)، وذلك [كما توهم بعض المسلمين، وكما يزعم كبراء مشركي قريش، الذين كانوا يتبججون، ويستكبرون على الناس به] (56)

وظنهم أن القيام بشعائر المسجد الحرام، مساو للأعمال الهجرة والجهاد(57)

كما تقدم فيها ذكر الجهاد في سبيل الله، من مثل قوله تعالى: "قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين"(التوبة:14).

وقوله: "أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعلمون" (التوبة:16)، فقدم ذكر: (في سبيل الله) على الأموال والأنفس، وهو المناسب ههنا للجهاد، كما قدم الأموال والأنفس هناك، لأنه المناسب للأموال. (58)

ومن ذلك: تقديم وتأخير الجن والانس في سورتي الإسراء والرحمان، قال تعالى: "قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتو بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" (الاسراء:88)، وقال عز وجل: "يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفدوا من أقطار السماوات والأرض فانفدوا لا تنفدون إلا بسلطان" (الرحمان:33)

قدم في الأولى الإنس: لأن مضمون الآية هو التحدي بالإتيان بمثل القرآن، ولا شك أن مدار التحدي على لغة القرآن ونظمه وبلاغته وحسن بيانه وفصاحته.

أما في الآية الثانية قدم الجن: لأن الحديث فيها عن النفاد من أقطار السموات والأرض ولا شك أن هذا هو ميدان الجن، وهم الأقدر على ذلك، لتنقلهم وسرعة حركتهم الطيفية وبلوغهم أن يتخدوا مقاعد في السماء للاستماع، كما قال تعالى على لسانهم: "وإنّا كنا

---

(56)- انظر: محمد رشيد رضا: تفسير المنار. ج:10، ص: 218

(57)- انظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير. ج:10، ص: 142

(58)- انظر: المطعني: التعبير القرآني. ص: 49-74

نقعد منها مقاعد للسمع" (الجن:9)، فقدم الجن على الإنس لأن النفاد مما يناسب خواصهم وماهية أجسامهم أكثر من الإنس[59].

قال حسن عباس:[تحدث القرآن الكريم في آيات كثيرة عن الجن والإنس، ولكن الذي يلفت الانتباه، ما نجده في النظم القرآني البديع من تقديم الجن تارة، وتقديم الإنس تارة أخرى وهذا يستدعيه السياق، وتوجيه الحكمة البيانية، ففي سياق التحدي بالقرآن الكريم، يقدم الإنس على الجن، لأن الانس هم المقصودون بالتحدي أولا وقبل كل شيئ، قال تعالى: "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"(الاسراء:88)

أما في سياق التحدي بالنفود من أقطار السموات والأرض، فقد قدم الجن، لأنهم أقدر على الحركة من الإنس، قال تعالى: "يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفدوا من أقطار السماوات والأرض فانفدوا لا تنفدون الا بسلطان" (الرحمان:33)

أما قوله سبحانه: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" (الذاريات56)، فلقد قدم الجن على الإنس، لأنه أقدر على وعي السبق الزمني، فإن الجن مخلوقون قبل الإنس، وهكذا نجد الكلمة القرآنية تقدر في مكانها الذي جاءت فيه، "ذلك تقدير العزيز العليم" (يس:38)

ومن مواضع التقديم والتأخير في القرآن الكريم ما ورد في آية واحدة من سورة الجمعة وهي قوله تعالى: "وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما. قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين" (الجمعة:11)

ففي البدء قدم التجارة على اللهو، لأن التجارة هي السبب الحقيقي في انفضاضهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فالآية نزلت في واقعة حدثت عندما عندما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب الجمعة فقدمت عير التجارة الى المدينة فانصرف الناس إليها وتركوا الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه إلا اثنا عشر رجلا، فكان من عاداتهم أن يتقدم الدف والطبل تلك العير فهو من اللهو، ولكنه ليس مقصودا لذاته، بل هو تبع للتجارة التي هي مقصدهم الأصلي، ولعل هذا هو السبب أيضا في إفراد الضمير وعودته على التجارة في قوله: "انفضوا إليها"، وأعيد الضمير على التجارة أيضا للتأكيد على ذم الانفضاض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لو كانت التجارة ذات منفعة لهم

(59)– انظر: الكبسي: معاني التقديم والتأخير في كتاب الله. مجلة الحكمة. العدد الرابع

لاسيما أنهم كانوا في فترة جوع غلاء السعر، فكيف بغيرها من توافه الأمور، فأنت إن خصصت النافع بذم أو نهي، فما دونه أولى في الترك، وأدخل في الذم، أما في الجزء الثاني من الآية فقد قدم اللهو، لأنه يتحدث عن أمر عام، بأن ما كان عند الله خير فناسب تقديم اللهو لأنه أعم، فاللهو يفعله أكثر الناس حتى الفقراء منهم

أما التجارة فهي لبعض الناس، ولأن المعتاد أن نبدأ بالأدنى عند المفاضلة، واللهو أدنى من التجارة، ففي التجارة شيئ من كسب ونفع لا يوجدان في اللهو ثم إن المقام ذم، ولا شك أن اللهو أظهر في المذمة، وناسب تأخير التجارة لتكون ألصق بختامه الآية "والله خير الرازقين" فهي مصدر الرزق.

وقد يخطر على الذهن سؤال: لم أعاد حرف الجر (من) في قوله: "خير من اللهو من التجارة"...؟

والجواب: إن الإعادة تأكيد على أن الذم واقع على كل واحد منهما منفردا، إضافة إلى اشتراكهما فلا يظنن ظان أن ما عند الله خير، منهما في حالة واحدة هي اجتماعهما.

أما لو انفرد أحدهما كالتجارة مثلا فقد يختلف الحكم، والواو كما نعلم تفيد الجمع والاشتراك، فقد يفهم منها ذلك، أما مع إعادة الجار، فالأمر واضح بشمول الذم لاجتماعهما، ولكل منهما منفردا، وبخيرية ما عند الله وأفضليته على اللهو منفردا وعلى التجارة منفردا، وعليهما مجتمعين.

قال تعالى في سورة القصص: "وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى" (القصص:20)

وقال في سورة يس: "وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين" (يس:20)

وللسائل أن يسأل عن تقديم قوله: "وجاء من أقصى المدينة" على (رجل) الذي هو الفاعل في سورة يس، وتأخيره في سورة القصص...؟

الجواب أن يقال: إن التقديم في سورة يس، مناسب لما سبقه من آيات جاءت في سياق وصف أصحاب القرية (أنطاكية) بالإسراف في عصيان رسل عيسى عليه السلام إليهم[60]

(60)- الزمخشري: الكشاف. ج:3، ص: 317

وأن رجلا آمن بدعوة أولئك الرسل، وجاء ينصح قومه بإتباعهم، وهذا الرجل جاء من مكان بعيد عن مجتمع الناس من القرية، (من أقصى المدينة)، إذا تقديمه فيه زيادة توبيخ للأصحاب القرية، الذين استمعوا عن قرب، وشاهدوا من الرسل ما لم يشاهده ذلك الرجل الذي كان في أقصى المدينة، ومع ذلك فقد نصح لهم بما لم ينصحوا به أنفسهم فقدم ما تبكيت القوم به أعظم، والتعجب منه أكثر.

وأما تقديم الفاعل على الجار والمجرور في القصص، فهو على الأصل في تقديم الفاعل على الجار والمجرور، والمراد: جاء من لا يعرفه موسى عليه السلام من مكان لم يكن مجاورا لمكانه، فأعلمه ما فيه الكفار من ائتمارهم به، ولم يكن هناك تبكيت للقوم بكونه من أقصى المدينة كما كان ذلك في سورة يس.

قال صاحب التحرير والتنوير: (وفائدة ذكر أنه جاء من أقصى المدينة، الإشارة إلى أن الإيمان بالله ظهر في أهل ربض المدينة قبل ظهور في الأنصاف، والنظر في صحة ما يدعوهم إليه الرسل، وعامة سكانها تبع لعظمائها لتعلقهم بهم، وخشيتهم بأسهم بخلاف سكان أطراف المدينة، فهم أقرب الى الاستقلال وأقل اكتراثا بالآخرين، لأن سكان الأطراف غالبهم عملة أنفسهم لقربهم من البدو، وبهذا يظهر وجه تقديم (من أقصى المدينة) على رجل للاهتمام بالثناء على أهل أقصى المدينة، وأنه قد توجد في الأطراف ما لا يوجد في الوسط، وأن الإيمان يسبق إلى الضعفاء، لأنهم لا يصدهم عن الحق ما فيه أهل السيادة من الترف والعظمة، إذ المعتاد أنهم يسكنون وسط المدينة.

قال أبو تمام:

كانت هي الوسط المحمي فاتصلت .. بها الحوادث حتى أصبحت طرفا

وأما في سورة القصص:فجاء النظم على الترتيب الأصلي، إذا لا داعي إلى التقديم إذ كان ذلك الرجل ناصحا.

غير أن الزركشي في البرهان يرى أن سر تقديم أقصى المدينة على الرجل في سورة يس مراعاة السياق، حيث قال: [قدم المجرور على المرفوع، لاشتمال ما قبله من سوء معاملة أصحاب القرية الرسل، واصرارهم على تكذيبهم، فكان مظنه التتابع على مجرى العبارة تلك القرية، ويبقى مخيلا في فكرة: أكانت كلها كذلك، أم كان فيها من على خلاف ذلك بخلاف ما في سورة القصص]

وحاصل الأخبار من هذه الآيات، مثال وبيان لحال الكفار في قريش من أهل مكة، وحال الأنصار من أهل المدينة'حين جاء هؤلاء الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم وآمنوا به مع بعد دارهم، وعاندت قريش فكفروا به مع قرب دارهم، والتحامهم معه عليه الصلاة والسلام في النسب... والله أعلم

التقديم والتأخير في سورة التكوير:

(إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت وإذا الصحف نشرت وإذا السماء كشطت وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت) .

الافتتاح بـ (إذا افتتاح مشوق؛ لأن "إذا" ظرف يستدعي متعلقا، ولأنه أيضا شرط يؤذن بذكر جواب بعده، فإذا سمعه السامع ترقب ما سيأتي بعده ، فعندما يسمعه يتمكن من نفسه كمال تمكن، وخاصة بالإطناب بتكرير كلمة إذا .

وتعدد الجمل التي أضيف إليها اثنتي عشرة مرة ، فإعادة كلمة إذا بعد واو العطف في هذه الجمل المتعاطفة إطناب، وهذا الإطناب اقتضاه قصد التهويل، والتهويل من مقتضيات الإطناب والتكرير، كما في قصيدة الحارث بن عباد البكري: (قربا مربط النعامة مني) [61]

وفي إعادة إذا إشارة إلى أن مضمون كل جملة من هذه الجمل الاثنتي عشرة مستقل بحصول مضمون جملة الجواب عند حصوله بقطع النظر عن تفاوت زمان حصول الشروط، فإن زمن سؤال الموءودة ونشر الصحف أقرب لعلم النفوس بما أحضرت أقرب من زمان تكوير الشمس وما عطف عليه مما يحصل قبل البعث[62]

وقد ذكر في هذه الآيات اثنا عشر حدثا، فستة منها تحصل في آخر الحياة الدنيوية وستة منها تحصل في الآخرة

(61)- انظر: الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. دار سحنون، تونس. دت، ص: 140

(62)- المرجع نفسه. ص:141

وكانت الجمل التي جعلت شروطا لـ (إذا) في هذه الآية مفتتحة بالمسند إليه المخبر عنه بمسند فعلي دون كونها جملا فعلية، ودون تقدير أفعال محذوفة تفسرها الأفعال المذكورة وذلك يؤيد قول نحاة الكوفة بجواز وقوع شرط (إذا) جملة غير فعلية، وهو الراجح; لأن (إذا) غير عريقة في الشرط. وهذا الأسلوب لقصد الاهتمام بذكر ما أسندت إليه الأفعال التي يغلب أن تكون شروطا لـ (إذا)؛ لأن الابتداء بها أدخل في التهويل والتشويق وليفيد ذلك التقديم على المسند الفعلي تقوي الحكم وتأكيده في جميع تلك الجمل ردا على إنكار منكريه؛ فلذلك قيل: إذا الشمس كورت ولم يقل: إذا كورت الشمس، وهكذا نظائره .

وجواب الشروط الاثني عشر هو قوله : علمت نفس ما أحضرت وتتعلق به الظروف المشربة معنى الشرط

وصيغة الماضي في الجمل الثنتي عشرة الواردة شروطا ل إذا مستعملة في معنى الاستقبال تنبيها على تحقق وقوع الشرط

وتكوير الشمس: فساد جرمها لتداخل ظاهرها في باطنها بحيث يختل تركيبها فيختل لاختلاله نظام سيرها ، ومن قولهم : كور العمامة، إذا أدخل بعضها في بعض ولفها، وقريب من هذا الإطلاق إطلاق الطي في قوله تعالى : يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب .

وفسر كورت بمعنى غورت . رواه الطبري عن ابن جبير وقال : هي كلمة معربة عن الفارسية ، وأن أصلها بالفارسية كور بكر (بضم الكاف الأولى وسكون الراء الأخيرة) وعلى ذلك عدت هذه الكلمة مما وقع في القرآن من المعرب . وقد عدها ابن السبكي في نظمه الكلمات المعربة في القرآن[63]

وإذا زال ضوء الشمس انكدرت النجوم؛ لأن معظمها يستنير من انعكاس نور الشمس عليها .

والانكدار: مطاوع كدره المضاعف على غير قياس، أي: حصل للنجوم، انكدار من تكدير الشمس لها حين زال عنها انعكاس نورها، فلذلك ذكر مطاوع كدر دون ذكر فاعل التكدير والكدرة: ضد الصفاء، كتغير لون الماء ونحوه : أبصر خربان فضاء فانكدر[64]

---

(63)- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. ص:141

(64)- المرجع نفسه. ص:142

ومعنى تساقطها تساقط بعضها على بعض واصطدامها بسبب اختلال نظام الجاذبية الذي جعله الله لإمساكها إلى أمد معلوم

وتسيير الجبال انتقالها من أماكنها بارتجاج الأرض وزلزالها.

والعشار جمع عشراء وهي الناقة الحامل إذا بلغت عشرة أشهر لحملها فقاربت أن تضع حملها; لأن النوق تحمل عاما كاملا ، والعشار أنفس مكاسب العرب ومعنى عطلت تركت لا ينتفع بها

والكلام كناية عن ترك الناس أعمالهم لشدة الهول

وعلى هذا الوجه يكون ذلك من أشراط الساعة في الأرض فيناسب وإذا الوحوش حشرت .

ويجوز أن تكون العشار مستعارة للأسحبة المحملة بالمطر ، شبهت بالناقة العشراء .

وهذا غير بعيد من الاستعمال ، فهم يطلقون مثل هذه الاستعارة للسحاب ، كما أطلقوا على السحابة اسم بكر في قول عنترة :

جادت عليه كل بكر حرة فتركن كل قرارة كالدرهم

فأطلق على السحابة الكثيرة الماء اسم البكر الحرة ، أي : الأصيلة من النوق وهي في حملها الأول .

ومعنى تعطيل الأسحبة أن يعرض لها ما يحبس مطرها عن النزول ، أو معناه أن الأسحبة الثقال لا تتجمع ولا تحمل ماء ، فمعنى تعطيلها تكونها، فيتوالى القحط على الأرض فيهلك الناس والأنعام . وعلى هذا الوجه فذلك من أشراط الساعة العلوية فيناسب تكوير الشمس وانكدار النجوم [65]

والوحوش: جمع وحش وهو الحيوان البري غير المتأنس بالناس .

وحشرها : جمعها في مكان واحد ، أي : مكان من الأرض عند اقتراب فناء العالم فقد يكون سبب حشرها طوفانا يغمر الأرض من فيضان البحار فكلما غمر جزءا من الأرض

(65)- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. ص:143

فرت وحوشه حتى تجتمع في مكان واحد طالبة النجاة من الهلاك ، ويشعر بهذا عطف وإذا البحار سجرت عليه

وذكر هذا بالنسبة إلى الوحوش إيماء إلى شدة الهول فالوحوش التي من طبعها نفرة بعضها عن بعض تتجمع في مكان واحد لا يعدو شيء منها على الآخر من شدة الرعب، فهي ذاهلة عما في طبعها من الاعتداء والافتراس ، وليس هذا الحشر الذي يحشر الناس به للحساب ، بل هذا حشر في الدنيا وهو المناسب لما عد معه من الأشراط، وروي معناه عن أبي بن كعب .

وتسجير البحار: فيضانها ، قال تعالى : والبحر المسجور في سورة الطور. والمراد تجاوز مياهها معدل سطوحها واختلاط بعضها ببعض وذلك من آثار اختلال قوة كرة الهواء التي كانت ضاغطة عليها ، وقد وقع في آية سورة الانفطار وإذا البحار فجرت وإذا حدث ذلك اختلط ماؤها برملها فتغير لونه

يقال: سجر مضاعفا وسجر مخففا . وقرئ بهما فقرأه الجمهور مشددا . وقرأه ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب مخففا

وقوله تعالى: وإذا النفوس زوجت شروع في ذكر الأحوال الحاصلة في الآخرة يوم القيامة، وقد انتقل إلى ذكرها لأنها تحصل عقب الستة التي قبلها وابتدئ بأولها وهو تزويج النفوس ، والتزويج : جعل الشيء زوجا لغيره بعد أن كان كلاهما فردا ، والتزويج أيضا : جعل الأشياء أنواعا متماثلة قال تعالى : ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ; لأن الزوج يطلق على النوع والصنف من الأشياء، والنفوس: جمع نفس، والنفس يطلق على الروح ، قال تعالى: يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك. وقال : أخرجوا أنفسكم .

وتطلق النفس على ذات الإنسان قال تعالى : ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق وقال : هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم. وقال : فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم أي: فليسلم الداخل على أمثاله من الناس(66) .

فيجوز أن يكون معنى النفوس هنا الأرواح ، أي : تزوج الأرواح بالأجساد المخصصة لها فيصير الروح زوجا مع الجسد بعد أن كان فردا لا جسم له في برزخ الأرواح ، وكانت

(66)- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. ص:141

الأجساد دون أرواح حين يعاد خلقها، أي : وإذا أعطيت الأرواح للأجساد . وهذا هو البعث وهو المعنى المتبادر أولا ، وروي عن عكرمة .

ويجوز أن يكون المعنى وإذا الأشخاص نوعت وصنفت فجعلت أصنافا: المؤمنون والصالحون، والكفار، والفجار، قال تعالى : وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون الآية .

ولعل قصد إفادة هذا التركيب لهذين المعنيين هو مقتضى العدول عن ذكر ما زوجت النفوس به . وأول منازل البعث اقتران الأرواح بأجسادها، ثم تقسيم الناس إلى مراتبهم للحشر ، كما قال تعالى : ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم قال : وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا ثم قال : وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا الآية .

وقد ذكروا معاني أخرى لتزويج النفوس في هذه الآية غير مناسبة للسياق

وبمناسبة ذكر تزويج النفوس بالأجساد خص سؤال الموءودة بالذكر دون غيره مما يسأل عنه المجرمون يوم الحساب، ذلك لأن إعادة الأرواح إلى الأجساد كان بعد مفارقتها بالموت، والموت إما بعارض جسدي من انحلال أو مرض، وإما باعتداء عدواني من قتل أو قتال، وكان من أفظع الإعتداء على إزهاق الأرواح من أجسادها اعتداء الآباء على نفوس أطفالهم بالوأد، فإن الله جعل في الفطرة حرص الآباء على استحياء أبنائهم وجعل الأبوين سبب إيجاد الأبناء ، فالوأد أفظع أعمال أهل الشرك . وسؤال الموءودة سؤال تعريضي مراد منه تهديد وائدها ورعبه بالعذاب.

وظاهر الآية أن سؤال الموءودة وعقوبة من وأدها أول ما يقضى فيه يوم القيامة كما يقتضي ذلك جعل هذا السؤال وقتا تعلم عنده كل نفس ما أحضرت ، فهو من أول ما يعلم به حين الجزاء[67]

والوأد: دفن الطفلة وهي حية: قيل هو مقلوب آداه، إذا أثقله; لأنه إثقال الدفينة بالتراب. قال في الكشاف : كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها البسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية ، وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية يقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها وقد حفر لها بئرا في الصحراء

(67)- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. ص:145

فيبلغ بها البئر فيقول لها: انظري فيها، ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالأرض .

وقيل : كانت الحامل إذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة، فإذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة ، وإن ولدت ابنا حبستها

وكانوا يفعلون ذلك خشية من إغارة العدو عليهم فيسبي نساءهم، ولخشية الإملاق في سني الجدب ; لأن الذكر يحتال للكسب بالغارة وغيرها والأنثى عالة على أهلها، قال تعالى : ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق وقال : وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون .

وإذ قد فشا فيهم كراهية ولادة الأنثى فقد نما في نفوسهم بغضها فتحركت فيها الخواطر الإجرامية ، فالرجل يكره أن تولد له أنثى لذلك ، وامرأته تكره أن تولد لها أنثى خشية من فراق زوجها إياها ، وقد يهجر الرجل امرأته إذا ولدت أنثى.

وقد توارثت هذا الجهل أكثر الأمم على تفاوت بينهم فيه ، ومن كلام بعضهم وقد ماتت ابنته: (نعم الصهر القبر)

ومن آثار هذا الشعور حرمان البنات من أموال آبائهن بأنواع من الحيل مثل وقف أموالهم على الذكور دون الإناث، وقد قال مالك : إن ذلك من سنة الجاهلية، ورأى ذلك الحبس باطلا، وكان كثير من أقرباء الميت يلجئون بناته إلى إسقاط حقهن في ميراث أبيهن لإخوتهن في فور الأسف على موت أبيهن، فلا يمتنعن من ذلك، ويرين الامتناع من ذلك عارا عليهن، فإن لم يفعلن قطعهن أقرباؤهن[68]

وتعرف هذه المسألة في الفقه بهبة بنات القبائل، وبعضهم يعدها من الإكراه .

ولم يكن الوأد معمولا به عند جميع القبائل، قيل أول من وأد البنات من القبائل ربيعة، وكانت كندة تئد البنات، وكان بنو تميم يفعلون ذلك، ووأدقيس بن عاصم المنقري من بني تميم ثماني بنات له قبل إسلامه.

(68)– الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. ص:146

ولم يكن الوأد في قريش البتة . وكان صعصعة بن ناجية جد الفرزدق من بني تميم يفتدي من يعلم أنه يريد وأد بنته من قومه بناقتين عشراوين وجمل ، فقيل : إنه افتدى ثلاثمائة وستين موءودة ، وقيل : وسبعين ، وفي الأغاني : وقيل : أربعمائة .

وفي تفسير القرطبي : فجاء الإسلام وقد أحيا سبعين موءودة . ومثل هذا في كتاب الشعراء لابن قتيبة ، وبين العددين بون بعيد ، فلعل في أحدهما تحريفا .

وفي توجيه السؤال إلى الموءودة بأي ذنب قتلت في ذلك الحشر إدخال الروع على من وأدها، وجعل سؤالها عن تعيين ذنب أوجب قتلها للتعريض بالتوبيخ والتخطئة للذي وأدها وليكون جوابها شهادة على من وأدها فيكون استحقاقه العقاب أشد وأظهر .

وجملة بأي ذنب قتلت بيان لجملة سئلت

و(أي): اسم استفهام يطلب به تميز شيء من بين أشياء تشترك معه في حال .

والاستفهام في بأي ذنب تقريري، وإنما سئلت عن تعيين الذنب الموجب قتلها دون أن تسأل عن قاتلها لزيادة التهديد ; لأن السؤال عن تعيين الذنب مع تحقق الوائد الذي يسمع ذلك السؤال أن لا ذنب لها إشعار للوائد بأنه غير معذور فيما صنع بها .

وينتزع من قوله تعالى: سئلت بأي ذنب قتلت الوارد في سياق نفي ذنب عن الموءودة يوجب قتلها استدلال على أن من ماتوا من أطفال المشركين لا يعتبرون مشركين مثل آبائهم ، وأول من رأيته تعرض لهذا الاستدلال الزمخشري في الكشاف، وذكر أن ابن عباس استدل على هذا المعنى قال في الكشاف : " وفيه دليل على أن أطفال المشركين لا يعذبون ، وإذ أبكت الله الكافر ببراءة الموءودة من الذنب فما أقبح به وهو الذي لا يظلم مثقال ذرة أن يكر على هذا التبكيت فيفعل بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب السرمدي". وعن ابن عباس أنه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الآية. فأشار إلى ثلاثة أدلة : أحدها : دلالة الإشارة، أي : لأن قوله تعالى : بأي ذنب قتلت يشير إلى أنها لا ذنب لها وهذا استدلال ضعيف; لأن الذنب المنفي وجوده بطريقة الاستفهام المشوب بإنكار إنما هو الذنب الذي يخول لأبيها وأدها لا إثبات حرمتها وعصمة دمها فتلك قضية أخرى على تفصيل فيها[69]

(69)– الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. ص:147

الثاني : قاعدة إحالة فعل القبيح على الله تعالى على قاعدة التحسين والتقبيح عند المعتزلة، وإحالتهم الظلم على الله إذا عذب أحدا دون فعله، وهو أصل مختلف فيه بين الأشاعرة والمعتزلة . فعندنا أن تصرف الله في عبيده لا يوصف بالظلم خلافا لهم على أن هذا الدليل مبني على أساس الدليل الأول وقد علمت أنه غير سالم من النقض

الثالث: ما نسبه إلى ابن عباس وهو يشير إلى ما أخرجه ابن أبي حاتم بسنده إلى عكرمة أنه قال : قال ابن عباس : أطفال المشركين في الجنة ، فمن زعم أنهم في النار فقد كذب بقول الله تعالى : وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت وقد أجيب عن القول المروي عن ابن عباس بأنه لم يبلغ مبلغ الصحة ، وهذه مسألة من أصول الدين لا يكتفى فيها إلا بالدليل القاطع

واعلم أن الأحاديث الصحيحة في حكم أطفال المشركين متعارضة فروى مسلم والبخاري عن أبي هريرة ، وابن عباس أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سئل عن أولاد أو ذراري المشركين فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين . وهذا الجواب يحتمل الوقف عن الجواب ، أي : الله أعلم بحالهم ، كقول موسى – عليه السلام – علمها عند ربي في كتاب جوابا لقول فرعون فما بال القرون الأولى . ويحتمل أن المعنى : الله أعلم بحال كل واحد منهم لو كبر ماذا يكون عاملا من كفر أو إيمان ، أي : فيعامله بما علم من حاله وأخرج البخاري ، ومسلم – ببعض اختلاف في اللفظ – عن أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه الحديث . زاد في رواية مسلم ثم يقول – أي أبو هريرة : – اقرأوا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم . فيقتضي أنهم يولدون على فطرة الإسلام حتى يدخل عليه من أبويه أو قريبه أو قرينه ما يغيره عن ذلك ، وهذا أظهر ما يستدل به في هذه المسألة[70]

قال المازري في المعلم : فاضطرب العلماء فيهم . والأحاديث وردت ظواهرها مختلفة واختلاف هذه الظواهر سبب اضطراب العلماء في ذلك والقطع ها هنا يبعد

(70)– الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. ص:148

وقول أبي هريرة : واقرأوا فطرة الله التي فطر الناس عليها إلخ مصباح ينير وجه الجمع بين هذه الأخبار : وقد ورد في حديث الرؤيا عن سمرة بن جندب ما هو صريح في ذلك إذ قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : وأما الرجل الذي في الروضة فإنه إبراهيم – عليه السلام – ، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة .

قال سمرة : فقال بعض المسلمين : يا رسول الله ، وأولاد المشركين ؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : وأولاد المشركين .

واختلفت أقوال العلماء في أولاد المشركين ، فقال ابن المبارك ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد ، وإسحاق بن راهويه ، والشافعي : هم في مشيئة الله . والصحيح الذي عليه المحققون والجمهور أنهم في الجنة ، وهو ظاهر قول أبي هريرة . وذهب الأزارقة إلى أن أولاد المشركين تبع لآبائهم ، وقال أبو عبيد : سألت محمد بن الحسن عن حديث كل مولود يولد على الفطرة فقال : كان ذلك أول الإسلام قبل أن تنزل الفرائض وقبل أن يفرض الجهاد . قال أبو عبيد : كأنه يعني أنه لو ولد على الفطرة لم يرثاه لأنه مسلم وهما كافران ، فلما فرضت الفرائض على خلاف ذلك جاز أن يسمى كافرا وعلم أنه يولد على دينهما .

وهنالك أقوال أخرى كثيرة غير معزوة إلى معين ولا مستندة لأثر صحيح .

وذكر المازري أن أطفال الأنبياء في الجنة بإجماع ، وأن جمهور العلماء على أن أطفال بقية المؤمنين في الجنة ، وبعض العلماء وقف فيهم ، وقالالنووي : أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة .

وقرأ الجمهور قتلت بتخفيف المثناة الأولى ، وقرأه أبو جعفر بتشديدها ، وهي تفيد معنى أنه قتل شديد فظيع[71]

ونشر الصحف حقيقته : فتح طيات الصحيفة ، أو إطلاق التفافها لتقرأ كتابتها وتقدم في قوله : أن يؤتى صحفا منشرة في سورة المدثر ، وعند قوله: كتابا يلقاه منشورا في سورة الإسراء .

والمراد : صحف الأعمال ، وهي إما صحف حقيقية مخالفة للصحف المألوفة ، وإما مجازية أطلقت على أشياء فيها إحصاء أعمال الناس ، وقد تقدم غير مرة .

---

(71)– الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. ص:149

وقرأ نافع ، وعاصم ، وابن عامر ، وأبو جعفر ، ويعقوب نشرت بتخفيف الشين . وقرأه الجمهور بتشديد الشين للتكثير لكثرة الصحف المنشورة

والكشط : إزالة الإهاب عن الحيوان الميت وهو أعم من السلخ ; لأن السلخ لا يقال إلا في إزالة إهاب البقر والغنم دون إزالة إهاب الإبل ، فإنه كشط ولا يقال سلخ ، والظاهر أن المراد إزالة تقع في يوم القيامة لأنها ذكرت في أثناء أحداث يوم القيامة بعد قوله : وإذا النفوس زوجت وإذا الموءودة سئلت وقوله : وإذا الصحف نشرت .

فالظاهر أن السماء تبقى منشقة منفطرة تعرج الملائكة بينها وبين أرض المحشر حتى يتم الحساب ، فإذا قضي الحساب أزيلت السماء من مكانها ، فالسماء مكشوطة والمكشوط عنه هو عالم الخلود ، ويكون كشطت استعارة للإزالة

ويجوز أن يكون هذا من الأحداث التي جعلت أشراطا للساعة وأخر ذكره لمناسبة ذكر نشر الصحف ; لأن الصحف تنشرها الملائكة وهم من أهل السماء فيكون هذا الكشط من قبيل الانشقاق في قوله تعالى : إذا السماء انشقت والانفطار في قوله تعالى : إذا السماء انفطرت إلى قوله : علمت نفس ما قدمت وأخرت فيكون الكشط لبعض أجزاء السماء والمكشوط عنه بعض آخر ، فيكون من قبيل قوله تعالى : لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ومن قبيل الطي في قوله تعالى : يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده لأن ظاهره اتصال طي السماء بإعادة الخلق ، وتصير الأشراط التي تحصل قبل البعث سبعة والأحداث التي تقع بعد البعث خمسة[72]

والجحيم أصله : النار ذات الطبقات من الوقود من حطب ونحوه بعضها فوق بعض وصار علما بالغلبة على جهنم دار العذاب في الآخرة في اصطلاح القرآن . وتسعيرها أو إسعارها : إيقادها ، أي : هيئت لعذاب من حق عليهم العذاب

وقرأ نافع ، وابن ذكوان عن ابن عامر ، وحفص عن عاصم ، وأبو جعفر ورويس عن يعقوب (سعرت) بتشديد العين مبالغة في الإسعار. وقرأه الباقون بالتخفيف .

---

(72)- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. ص:150

وقوبلت بالجنة دار النعيم، واسم الجنة علم بالغلبة على دار النعيم، وأزلفت قربت والزلفى: القرب ، أي : قربت الجنة من أهلها ، أي : جعلت بالقرب من محشرهم بحيث لا تعب عليهم في الوصول إليها وذلك كرامة لهم

واعلم أن تقديم المسند إليه في الجمل الثنتي عشرة المفتتحات بكلمة (إذا) من قوله : إذا الشمس كورت إلى هنا ، والإخبار عنه بالمسند الفعلي مع إمكان أن يقال : إذا كورت الشمس وإذا انكدرت النجوم ، وهكذا كما قال : فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان أن ذلك التقديم لإفادة الاهتمام بتلك الأخبار المجعولة علامات ليوم البعث توسلا بالاهتمام بأشراطه إلى الاهتمام به وتحقيق وقوعه .

وإن إطالة ذكر تلك الجمل تشويق للجواب الواقع بعدها بقوله : علمت نفس ما أحضرت .

وجملة علمت نفس ما أحضرت يتنازع التعلق به كلمات إذا المتكررة .

وعن عمر بن الخطاب أنه قرأ أول هذه السورة فلما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال : لهذا أجريت القصة أي : هو جواب القسم ومعنى علمت أنها تعلم بما أحضرت فتعلمه .

وقوله : نفس نكرة في سياق الشرط مراد بها العموم ، أي : علمت كل نفس ما أحضرت واستفادة العموم من النكرة في سياق الإثبات تحصل من القرينة الدالة على عدم القصد إلى واحد من الجنس ، والقرينة هنا وقوع لفظ) نفس) في جواب هذه الشروط التي لا يخطر بالبال أن تكون شروطا لشخص واحد ، وقد قال تعالى : يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء . [73]

والإحضار : جعل الشيء حاضرا

ومعنى علمت نفس ما أحضرت حصول اليقين بما لم يكن لها به علم من حقائق الأعمال التي كان علمها بها أشتاتا : بعضه معلوم على غير وجهه ، وبعضه معلوم صورته مجهولة عواقبه ، وبعضه مغفول عنه . فنزل العلم الذي كان حاصلا للناس في الحياة الدنيا منزلة عدم العلم ، وأثبت العلم لهم في ذلك اليوم علم أعمالهم من خير أو شر فيعلم ما لم يكن له به علم مما يحقره من أعماله ويتذكر ما كان قد علمه من قبل ، وتذكر المنسي والمغفول عنه نوع من العلم

---

(73)– الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. ص:151

وما أحضرته هو ما أسلفته من الأعمال ، ولما كانت الأعمال تظهر آثارها من ثواب وعقاب يومئذ عبر عن ظهور آثارها بالإحضار لشبهه به كما يحضر الزاد للمسافر ففي فعل أحضرت استعارة . ويطلق على ذلك الإعداد كقول النبيء – صلى الله عليه وسلم – للذي سأله متى الساعة ؟ ماذا أعددت لها .

وأسند الإحضار إلى النفوس لأنها الفاعلة للأعمال التي يظهر جزاؤها يومئذ فهذا الإسناد من إسناد فعل الشيء إلى سبب فعله ، فحصل هنا مجازان : مجاز لغوي ، ومجاز عقلي، وحقيقتهما في قوله تعالى : يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء .

وجعلت معرفة النفوس لجزاء أعمالها حاصلة عند حصول مجموع الشروط التي ذكرت في الجمل الثنتي عشرة ; لأن بعض الأحوال التي تضمنتها الشروط مقارن لحصول علم النفوس بأعمالها وهي الأحوال الستة المذكورة أخيرا ، وبعض الأحوال حاصل من قبل بقليل وهي الأحوال الستة المذكورة أولا ، فنزل القريب منزلة المقارن، فلذلك جعل الجميع شروطا لـ (إذا) [74]

(74)– الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. ص:152

الخاتمة

الخاتمة:

لقد تصدر القرآن الكريم باعتباره كلام الله المنزل على نبيه الكريم مجالا هاما في حقل الدراسات اللغوية مند زمن بعيد، فقد استطعنا في هذا البحث الذي تناولنا فيه بالدراسة والتحليل أسلوبا من أساليب البلاغة ومظهرا من مظاهر الإعجاز للتقديم والتأخير ومن خلال توضيح مفهومه وأقسامه وأغراضه وأهميته في اللغة العربية وفي القرآن الكريم وإبراز الطائفة وأسراره في سورة التكوير ويمكن أن نجعل بعض ما توصلنا إليه من نتائج في النقاط الآتية :

- التقديم والتأخير له أهمية كبيرة في كشف دلائل وإعجاز القرآن الكريم.
- كان لأسلوب التقديم والتأخير سمة أسلوبية بارزة في معرفة خواص تراكيب الكلام.
- الأسباب الداعية إلى تقديم جزء هي نفسها الأسباب الداعية إلى تأخيره لأن التقديم والتأخير متلازمان.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

المصادر:

- القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع

المراجع:

1- **البغدادي** (عبد الكريم): الإكسير في علم التفسير. دار الفكر، لبنان. دت

2- **الثعالبي**: فقه اللغة وسر البلاغة. دار العلم، بيروت، لبنان. دت

3- **الجرجاني** (عبد القاهر): دلائل الاعجاز. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط2، 1989

4- **الزركشي**: البرهان في علوم القرآن. دار الكتب العلمية مصر، 2000

5- **الزمخشري** (جار الله): أساس البلاغة. مكتبة دار التراث،(د،ط)،(د، ت)

6- **السامرائي (فاضل)**: التعبير القرآني. دار عمار للنشر، عمان الأردن. 2006م

7- **سيبويه**: الكتاب. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. دت

8-**السيوطي** (جلال الدين):

- المطالع السعيدة بشرح الفريدة، في النحو والصرف والخط، تحقيق، نبهان ياسين حسين، دار الرسالة للطباعة بغداد (د،ط) 1977
- معترك الإقتراب في إعجاز القرآن. دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط:1، 1988

9-**عبد المطلب** (عبد الرزاق): الجديد في الأدب. دار شريفة، مصر، 2006

10- **عطية** (محسن علي): الأساليب النحوية عرض وتطبيق. دار المناهج للنشر والتوزيع عمان، الأردن. الطبعة الأولى.2007

11- ابن **عيسى** (باطاهر): البلاغة العربية، مقدمات وتطبيقات.دار الكتاب,الجديد المتحدة.ط1، 2008

12- **الفراهيدي** (الخليل بن أحمد): معجم العين. دار الفكر ، بيروت، 1979

13- **الفيروز** آبادي: القاموس المحيط. دار الكتب المصرية. دت

14- ابن **قتيبة** (أبو عبد الله الدينوري): الشعر والشعراء. دار المعارف، مصر، د ت

15- ابن **القيم**: الفوائد المشوق. دار الفكر. لبنان، دت

16- ابن **منظور**: لسان العرب. دار صادر، مصر، 2003

17- **نهر** (هادي): النحو التطبيقي. جدار الكتاب العالمي عمان- الأردن ، ط1 ، 2008

18- ابن **عاشور** الطاهر: التحرير والتنوير. دار سحنون، تونس. دت، ص: 140

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
تشكر وعرفان وإهداء	--
مقدمة	**أ-ج**
الفصل الأول؛ التقديم والتأخير في النظم القرآني الكريم	**1-19**
تعريف التقديم والتأخير	4
تعريف التقديم والتأخير لغة	6
ثانيا؛ اصطلاحا	6
أنواع التقديم والتأخير	8
أسباب التقديم والتأخير في القرآن الكريم	11
أهمية التقديم والتأخير	15
أنواع التقديم والتأخير	17
الفصل الثاني؛ دراسة تطبيقية لبيان دلالات وبلاغة التقديم والتأخير في بعض آيات القرآن	20
دلالات وبلاغة التقديم والتأخير في بعض آيات القرآن	21
التقديم والتأخير في سورة التكوير	29
الخاتمة	**41-42**
المصادر والمراجع	**43-45**
فهرس الموضوعات	**46-47**